

أندروكليز والأسد

تأليف وتقديم : برنارد شو

ترجمة وتقديم : محمود عبد الله صابر



المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

تصدر بإشراف

لجنة المسرح العالمي

مقر الإدارة :

١٨ شارع حسين حجازى

بريد مجلس الأمة

القاهرة

تكون المراسلات باسم المشرف المسئول

٢٩

مسرحيات عالمية

تصدر شهرية

أندروكليز والأسد

تأليف وتقديم : برنارد شو
ترجمة وتقديم : محمود عبد الله صابر

أقرتها لجنة المسرح العالمى

المسرح العالمى
مشروع المكتبة العربية
الدار القومية للطباعة والنشر
وزارة الثقافة

١٥ أغسطس ١٩٦٦

شـــكر وتنويه

من أنعم الله على أن هدانى الى هذه الباقة الارجة من الافاضل والفضليات أعضاء لجنـة المسرح العـالمى ، الذين طبعـوا على اسداء الجميل واباء قبول شكر عليه

بيد أن هذا الاباء النبيل انما ضـاعف من ضخامة ما فى عنقى من فضل ومنة لكل من الاستاذين الجليلين : الدكتور محمـــد اســـماعيل المـــوافى والدكـــتور محمـــد سمـير عبد الحميـد لما تفضـلا به على من التوجيه الحكيم المتكرر

كذلك أزجى الشـكر وفاء واكبـارا الى الاستاذ الدكتور شوقى السكرى لما تجشم من صادق الجهد فى مضـاهاة العربية على الانجليزية من هـذا الكتاب مضاهاة عليمة هادية ..

والله المستعان

محمود صابر

ANDROCLES AND THE LION

By Bernard Shaw

مسرحية اندروكليز والأسد

لبرنارد شو

مقدمة المترجم

على نمط مختلف عن نمط غيره من أعلام المسرح نحا (برنارد شو) فى مسرحية (أندروكليز والأسد) نحواً خاصاً تناول فيه البسطاء من الناس الذين يكادون أن يكونوا غفلا أو بلها وزج بهم فى أحرج المواقف كيما يخرج العبرة وينشر المرح فى آن واحد.

فنى تلك المسرحية، اتخذ المؤلف من خياط يونانى سخى العاطفة سليم الطوية يكاد من ضعف وفقر وصبر على زوجته أن يجعل صدغه مداساً لها. إتخذ منه بطلا وأى بطل لموضوع كبير الخطر هو موضوع المسيحية الأولى فى عهد الاضطهاد الرومانى. أى قبل أن تتخذ لها أصدافا من العقائد ومن اللاهوت.

وإنه لمن العلو الذى لا ينال. ومن السبق الممتع معاً أن يستطيع كاتب مسرحى أن يروض مثل هذا الموضوع الجاد جدية لا يرقى لها موضوع آخر فيتنزل به إلى مصاف الملهاة التى بطلها إمعه (١) هو أقرب إلى الطفل الصغير منه إلى الرجل الكامل. والتى يمضى أكثرها فى جو من المرح الباسم الذى ليس يتم بعض التمثيل فيه بالإشارات بدل الكلمات فحسب، بل يقوم بدور الأسد

---

(١) ولعل « شو » أراد ان يطلعنا فى شخصية هذا الرجل الأمعه على طراز من الناس استمرأوا الذل حتى ألفوه واصبح طبيعة فيهم .. فهم اذن جديرون بسخريتنا واحتقارنا ..

المخوف جلد أسد ذو لبد يحركه رجل من داخله كما هو الحـــال فى ملاعب الأطفال جميعاً .

وليس هذا فقط بل ان (ماجيرا) زوجة (أندروكليز) ما هى فى الواقع إلا زوجة لعبه .. أنظر إليها إذ تقول لزوجها (إن المسيحيين هم أسفل السفلة أجمعين ..)

فإذا أجابها قائلا (مثلنا تماماً ياعزيزتى)

إذا هى ترد كما ترد المرأة السخيفة فتقول (تحدث عن نفسك فحسب .. حذار أن تجرؤ فتشبهنى بعامة الناس . لقد كان أبى مالكاً لمقهى خاص به . ولبئس ذلك اليوم الذى جئت فيه أول مرة تحسو لك كأسا)

بيد أن كونها زوجة أضحوكه لم يحل دون كونها امرأة سليطة اللسان تعدو وتجور متى قدرت .. فإذا عجزت عن الجور ، واحتاجت إلى معين لجأت إلى الدموع الزور تستدر بها عطف المشفقين ..

استمع إليها حين يتلطف زوجها فيبلغها أنه قد أقلع عن شرب الخمر مـــذ اعتنق المسيحية فتجيبه هى قائلة (ليتك ظللت سكيراً إلى الآن .. كان ذلك أفضل ..) ثم هى لا تتورع عن المضى فى السبـــاب فتقول (الـــكم أود للضباع أن تلذ بالتهامك ..)

وأخيراً عندما يفاجأهما الأسد فيضحى زوجها بنفسه لكى ينجيها ويبلغها أن لديها عشرين دقيقة تستطيع أن تهرب فى غضونها ريثما يفرغ الأسد من التهام جثمانه هو » الخ » غير أنها يغمى عليها من الرعب وفى أثناء غيبوبتها يكون الأسد وزوجها قد أصبحا صديقين حميمين ولما تعود إلى رشدها تجدهما يرقصان معاً إذا هى تصيح به وقد كفرت بتضحيته (خسئت أيها

الجبان .. أنت لم ترقص معى منذ سنين .. وهذا أنت الآن تراقص وحشاً شرساً مفترساً ولما تمض على معرفتك به عشر دقائق .. ولقد كان يود أن يفترس زوجتك نفسها .. أيها الجبان .. أيها الجبان .. أيها الجبان)

تلك صورة عابرة دبجها يراع هذا الكاتب القدير لصنف من النساء ــ وكثير ماهن : . جسم بلا روح .. مادة بلا عاطفة .. نار بلا نور .. بلاء بلا رحمه .

إنه لمن المحال أن لا يحمل الإنسان فى نفسه لمثل هذه المرأة الكراهية والازدراء معاً لما ترتكب من سيئات غير أنه لا يملك إلا أن يضحك فى الوقت نفسه منها ملء صدره لما ترتكب من أغلاط وسخافات .

والشخصيةالثالثة فى ترتيب الحوادث بهذه المسرحية هى شخصية (الأسد) ملك الغابة غير المنازع الذى أنزلته عن عرش مملكته إلى أرض العجز والهوان شوكة صغيرة استقرت فى كفه اليمنى فحار فى إخراجها وهو كلما ضرب بكفه الأرض زادت تمكناً وثباتاً وزادته ألماً على ألم . فلم يجد غير أندروكليز طبيباً لسقامه فيسير نحوه وهو يعرج على ثلاثة أرجل رافعاً الكف الرابعة أمامه وهازاً إياها أمام الرجل القابع على الأرض الذى يرتجف من هول الموقف غير أنه بعد أن أدرك حقيقة الأمر أدرك فى الوقت نفسه أنه لامفر له من أن يقوم بمهمة الطبيب رغم أنفه لكى يعالج الأسد .

وأخيراً يتم أندروكليز مهمته على خير وجه وينتهى به ذلك إلى مصادقة الأسد ومراقصته فى ختام الفصل الأول .. وتكون هذه الحادثه هى المحور الذى تدور عليه القصة كلها كما سنرى فى غضون الفصل الأخير من فصولها .. إذ يلقى بأندروكليز لنفس الأسد (وكان قد صيد قبل ذلك) عقاباً له على خروجه على عبادة الأوثان (دين الدولة الرومانية عامئذ) إلى الدين المسيحى .

ما يكون من الأسد إلا أن يعرفه ولا ينسى جميله وبدلا من أن يفترسه (كما كان منتظراً منه أن يفعل) يعود إلى مصادقته ومراقصته رقصاً ثنائياً حول فناء الملعب كله وذلك طبعاً لشدة دهشة الامبراطور وحاشيته والنظارة جميعاً ..

والشخصية الرابعة الجديرة بالذكر هى شخصية الامبراطور نفسه التى جمع فيها المؤلف شتى الخلال المتناقضات كل التناقض فمن صلف وغرور إلى ضعف وعجز وخضوع .. ومن كلمات كلها حكمة إلى حركات مضحكات انظر إلى قوله وكأنه آله السماء (لا غفران للمسيحيه ! !) كم فيه من تجبر وتكبر . وقوله (انك لترى الآن مساوىء الشدة عندما تتجاوز الحد) وكم فيه من تعقل وحسن سياسة للأمور .

وقوله فى مكان آخر (لا يتسنى لأى امبراطور على الأرض أن يجد عدداً من الضمائر يربو على حاجته) وكم فى هذا القول من حكمة سامية غابت عن أغلب الملوك والحكام فى جميع الأزمنة .

ثم انظر إليه كيف أنه وهو لا يزال خائفاً يرتعد . ما كاد يتجرأ ويضع قدمه فوق جسم الأسد النائم الوادع حتى عاودته كبرياؤه فتخيل أنه قهره نهائياً وشرع ينادى الحاشية لتأتى لتراه على هذا الوضع الشجاع ناسياً أنه كان قد جرى هربا منه وأنه استجار بأندروكليز كى يبقى بينه وبين الأسد لا يتركهما وحدهما . فما أن اجتمعت الحاشية حتى صاح قائلا (انظروا . لقد روض قيصر الأسد !)

و أخيراً حسبنا أن نستمع إلى تلك الجملة الصغيرة الجامعة التى صور فيها المؤلف القـــدير كيف كان الأباطره فى ذلك العهد يساون أنفسهم بالقتل كما كانوا يسلونها بالصفح على السواء . تلك الجملة التى قالها الامبراطور لفروفيوس عندما عرض عليه أن يأتى هو للأسد بدل « لافينيا » :

(لأ . لا . انت بلا ريب مقطعه أشلاء ياصديقى . ونحن لا يسعنا أن نفرط فى الأسود كما او كانوا مجرد عبيد !)

والشخصية الخامسة التى تثير السخرية لدى النظاره هى شخصية الجاويش المشرف على السجناء المسيحيين فهى تمثل خليطاً من الجهل والغباء والبذاءة والغلظ مع الجمع بين تناقض الخضوع التام للضابط الذى لا يعلوه إلا درجة واحدة والتكبر على كل من هم تحت إمرته من جنود أو سجناء . فيلقى عليهم جميعاً أوامره الصارمة ويشبعهم جميعاً توبيخاً وتهديداً وسباً وقد ود لو يشبعهم ضرباً وركلا .

وتلك لعمرى نظرة نافذة من نظرات شو . فان الأغلبية الكبرى من صغار رجال الشرطة هى فى كل بلد على هذا الطراز من الجهل والغباء والتسلط والغرور .

هذا ويسير جنباً إلى جنب مع الابداع فى خلق المواقف الفكاهية إبداع لا يجارى فى إثارة العواطف التى تكاد تسيل الدموع وتبعث فى الأنفس النقاء والوفاء والطهر والإيثار إلى غير ذلك من الأحاسيس التى لا تنبعث إلا عن المآسى العنيفة .

ومن الشخصيات البارزة التى تثير تلك العواطف شخصية (لافينيا) تلك الفتاة المسيحية الأمينة على ايمانها وعلى عفتها وطهرها معاً ، المستخفة حتى بالموت فى سبيل ما تعتقده مثلها الأعلى على الأرض وملكوتها الذى تنشده فى السماء .

وتلك صورة أخرى لصنف آخر من النساء غير صنف « ماجيرا » صورها لنا « شو » روحاً بلا جسم . عاطفة بلا مادة . نوراً بلا نار . رحمة بلا بلاء .

أنظر إلى ردها إلى الضابط عندما قال لها : (يا لأفينيا كل شهيد مجنون . وإن موتك لن يقوم برهاناً على شيء) وقوله : (إن الحق إن كان ثم حق . ليس فى حاجة إلى شهداء) فإذا هى تجيبه قائلة فى صراحة وشجاعة : (كلا إن ايمانى مثل سيفك فى حـــاجة إلى امتحان . هل فى وسعك أن تبلو سيفك إلا أن تخاطر بحياتك فى سبيله ؟) فلم يحر جواباً بل غير مجرى الحديث . ثم انظر بعد ذلك إلى مغازلة الضابط لها بسؤالها (هل يعرف المسيحيون كيف يحبون ؟) فإذا هى تجيبه فى جد اجابة مقتبسة من دينها فتقول (نعم أيها الضابط أنهم يحبون حتى أعداءهم) . ثم تأمل كيف تحلق بتفكيرها فوق المادة وفوق كل عرف وتقليد إذ هى تقول له — لما هددها بأنها تتعرض للفحشاء مع السفله من رجال القصر — (هم لا يستطيعون العبث بروحى .. أنا وحدى التى أقدر على فعل ذلك إذا أنا قربت قرباناً لآلهة كاذبة زائفة) .

وقولها بعد ذلك (إذا كانت « ديانا » تعنى لديك ما يعنيه المسيح لدىّ فإننا نركع معاً جنباً إلى جنب أمام مذبحها كطفلين صغيرين) .

وقولها أيضاً فى سياق التدليل على رسوخ اعتقادها (لهذا أيها الضابط . فلو أنى أمسكت بقبضة من بخور وهممت أن أمد يدى لألقى بها فى نار المذبح . إذن لارتدت يدى راجعة إلى .. إن جسدى ليأبى إلا أن يظل أميناً لإيمانه حتى ولو كان فى مقدورك أن تدنس نفسى !) .

ولما أن اعترفت بأن الأساطير التى تعتقد بها تتضاءل فى حضرة الموت حتى تنتهى إلى لا شىء . يسألها الضابط (إذن تموتين من أجل لا شىء) فإذا هى تجيبه قائلة (أجل .. ولهذا السبب ينبغى علىّ أن أموت فى سبيل شىء أعظم وأسمى من الأساطير والأحلام . فيسألها ثانية (ولكن ما هو ؟) فتجيب فى صدق وإخلاص قائلة (لاأعلم . لو أنه كان من الصغر بحيث أحيط به علماً

لكان من الصغر بحيث لا يستأهل الموت فى سبيله .. إنى لأخال إنى أموت فى سبيل الله فليس ثم حق سواه جدير بأن نموت فى سبيله) .

ولكن الضابط الكافر يسترسل فى لجاجه فيسأل ما هو الله ؟

فتجيبه هى أحكم وأفحم إجابة يمكن الوصول إليها ألا وهى (عندما نعلم ذلك أيها الضابط نصبح نحن الآلهة) .

وأخيراً وبعد أن يعييه الجدال يطالب منها أن تهبط من سمائها إلى أرضه فتحرق البخور وتحيا حياة طايقة حره وتتزوجه أى أنه يضع أمامها الروح فى جانب والمادة فى الجانب الآخر . الايمان والموت فى جانب. والحياة والحرية والزواج والهناء فى الجانب الآخر، ولكنها تحتقر ذلك كله مشبهة نفسها إذا هى قبلته بالجندى الذى يلقى بالعلم أثناء الموقعة على الأرض ويولى الفرار . ثم تسأله فى استنكار وفى تهكم مرير (هل تريد لابنك أن يولد جباناً !) ثم تختم حديثها بتلك العبارة القدرية التى لامفر من الاذعان لها (أمر الله غالب علينا أيها الضابط) .

هذا ولعل أعمق شخصية فى هذه المسرحية . جديرة بأن تفحص بمنظار مكبر هى شخصية الضابط الجميل الذى يقع فى شراك هوى لافينيا ويحاول جاهداً تخليصها من الموت واغراءها بالزواج منه .

وهذا العمق ناجم عن كونه يفكر تفكير « برنارد شو » نفسه وينطق بلسانه هو لابلسان شخص واحـد آخر ويؤمن إيمانه ويلحد الحـاده ويجد جده ويسخر سخريته فى آن واحد .

أنظر إليه حين يقول :

(إن الامبراطور هو حامى حمى الإيمان . وهو إذ يلقى بكم إلى السباع

إنما يدافع عن مصالح الدين فى روما . أما إذا حدث أن تمكنتم أنتم من الالقاء به إلى السباع فذلك يكون هو الاضطهاد بغير شك) .

هل توجد فى العالم كله سخرية تعدل هذه السخرية ؟

الحق أنه لا يوجد ما يعدل هذا القول سخرية ومرارة إلا قول هذا الضابط نفسه فى موضع آخر :

(كل مسيحى يأبى أن يرتد عن دينه ويموت فريسة للأسود إنما يكون قد أقدم بنفسه على الانتحار) وقوله (كل شهيد ما هو إلا مجنون) وقوله (إن الحق إن كان ثم حق ليس فى حاجة إلى شهداء) .

ثم يرتفع « شو » فوق الاختلافات الدينية إذ يخاطب المرأة المسيحية التى ترفض أن تقرب قربانا لآله كاذب زائف فيقول على لسان الضابط نفسه (إذن قربى قرباناً للآله الحق . ما الذى يهمك من اسمه ؟ نحن نسميه « المشترى » واليونان تسميه « رب الأوليمب » سَمّيه أنت ما تشائين إذ تلقين بالبخور فى نار المذبح . إنه بما تفعلين عليم !) أسخرية هذه هى الأخرى أم خديعة أم دعاء إلى دين واحد ؟ ثم تأتى بعد ذلك موجة من الشك تكتنف الكاتب الكبير فإذا به يقرر فى تشاؤم (تُطلين علىّ من السماء ؟ كفى عن خديعة نفسك . فليس لديك ما تنتظرين بعد القبر يا لافينيا) .

ثم يعود فيعلن عن كفره بكل شىء (لم يتبق لك الآن إلا إيمانك بذلك الهوس الذى تعتنقين : لعمرى هل أساطيركم المسيحية أصدق مثقال خردلة من أساطيرنا نحن عن « المشترى » وعن « ديانا » ؟

تلك الأساطير التى أصدقك القول أن ما بى من الشك فيها لا يقل عما لدى الإمبراطور نفسه . بل ولدى كل رجل مثقف فى روما كلها !)

ويمضى فى تخبطه الساخر فيؤكد لصاحبته المسيحية أنها لا تموت فى نصرة دين حقيقى ولكنها تموت من أجل الأساطير والأحلام ، أى من أجل لا شىء ، فإذا هى تجيبه أنها تموت فى سبيل شىء أسمى وأعظم من الأساطير ومن الأحلام .. ويسألها باستخفاف ولكن ما هو ؟ فلما قالت له (انى لأخال أنى أموت فى سبيل الله) لم يقتنع بل أسرف فى اللجاج قائلا : (ما هو الله ؟)

بيد أن الكاتب العظيم يأبى أن يترك النقاش أبداً عند هذا الحد بل يرد على السؤال بجواب مفحم مقنع فيقول على لسان المرأة المسيحية التقية (عندما تعلم ذلك أيها الضابط نصبح نحن آلهة) .

ولقد كان ممكناً أن يقف الجدل عند هذا الحد ، ولكن المادية تعود فتتغلب فيناديها الضابط قائلا (لافينيا تعالى ! ! ! اهبطى إلى الأرض وتزوجينى)

وبهذه الكلمات الصريحة القاطعة التى تفيض سخرية وشكاً بل ويأساً أيضاً يسفر الكاتب عن مادية قاتمة تنصح الإنسان بأن ينشد الأمن والرضى بالواقع الملموس : « الهبوط على الأرض والعيش كما يعيش سائر البشر » .

لا يتبقى بعدما مر ذكره من الشخصيات الرئيسيه فى هذه المسرحيه غير شخصية واحده جديره بالتنويه هى شخصية « فيروفيوس »

لقد جاء لفيروفيوس هذا وصف فى صلب المسرحية على لسان الضابط فى الفصل الأول إذ يقول بالحرف الواحد:

(وستجد بين أولئك المساجين الثلاثة مقاتلا يسمى « فيروفيوس » ذا طبيعة فظة خطيرة وذا قوة بدنية هائلة) .. ثم يمضى فيقول (ولقد أنذرنا بأن له قوة الفيل وشراسة الثور المجنون . بل يقال ان جنونه مطبق فعلا) .

ولقد كان لقوته البدنية الهائلة صدى تردد فى أقوال الامبراطور نفسه فى أواخر الفصل الثانى إذ يقول :

(رائع ! لابد أن يمنح تاجاً من الغار) ثم يسترسل فيقول : (ماذا يعنى هذا ؟ يعنى أنك أعظم رجل فى روما . يعنى أنك ستمنح تاج الغار مطرزاً بالذهب . أيها المحارب الجبار . لقد كدت أن أسلمك عرشى . إنك وسمت عهدى بأسمى وسام وخلدتنى فى التاريخ ! حدث مرة فى عهد الامبراطور دوميتيان أن ذبح أسير من الغال ثلاثة رجال فى الحلبة فنال بذلك فكاكه من الأسر . ولكن متى حدث قبل الآن أن ذبح رجل غير مدرع ستة رجال مدرعين من أشجع وأبرع من حملوا السيوف ؟!)

إن فى هذا القدر ما يكفى لبيان القوة الجسدية لهذه الشخصية . بيد أننا فى حاجة إلى بيان آخر عن حالته النفسية كما صورتها يد ذلك الكاتب الألمعى فنقول :

فيروفيوس هو رمز لذلك الطراز من الرجال الضيق الأفق الذى وصفه « أوسكار وايلد » بقوله: (ذو عقل أشبه شىء بكأس يسع هذا القدر من الماء ولا يتسع لسواه) بيد أنه إلى جانب ذلك ـ وربما بسبب ذلك ـ راسخ جذور الايمان إلى بعد سحيق . أنظر إليه حين يسأله لنتولوس (هل تدير خدك الآخر إذا ضربت ؟) فيجيب وهو يدير وجهه فعلا (نعم . بنعمة الله . هذا هو ما أفعله الآن)

ويقول بعد ذلك فى مقام آخر (الآن تعلمت أن أتجلد . بقوة فوق قوتى . ولقد زدت عن الخجل وعن الغضب معاً)

ويقول كذلك: (اعط كل ما تملك للفقراء . هيا أيها الصديق تشجع . قد يتألم جسمك لحظة ولكن روحك سوف تنعم بانتصار الروح على الجسد)

ويقول أيضاً (يبدو لى أن عناية الهية ترعانى . لكم كان الكفار يهتدون للايمان على أثر مناجاة قلب لقلب بينى وبينهم رأساً . كم أشعر فى كل يوم أنى أوفر سعادة وأرسخ ايماناً) .

ويقول عندما علم بموت سبنتو الجبان الذى فضل أن يقرب قربانا للأوثان على أن يموت فى سبيل ايمانه (لقى المرتد حتفه . المجد لعدالة السماء !) .

وأخيراً . وبعد أن قتل ستة مصارعين مدججين بالسلاح يصرخ بأعلى صوته منادياً (ويلى هلكت هلاكاً أبدياً . عصيت مولاى وسيدى . هيا اقطعوا هذه اليد . إنها ظالمة . سيوفكم فى أيديكم أيها الاخوة اضربوا)

وعندما يقول الامبراطور (لابد لنا من إلقاء شخص للأسد الجديد) يصيح فيروفيوس قائلا (ألقوا بى إليه . دعوا الكافر الأثيم يلق قصاصه)

ما الذى يريده « شو » وهو ذلك الواقعى المادى العتيد . من وراء ترداد هذه الجمل السبع ومثيلاتها على لسان رجل غبى ضيق الأفق مثل « فيروفيوس ».

إنه لا يريد — قطعاً — أن يقدم لنا مواعظ فنفكر فيها ونتخذ منها مذاهب لنا فى الحياة بل يبدو أنه إنما أراد الضد من ذلك على خط مستقيم — أراد أن يقول :

(حذار أن تدير الخد الآخر إذا أنت ضربت على هذا الخد)

وأراد أن ينكر أن هنالك قوة فوق الإنسان تأتيه من السماء تجعله أكثر تجلداً مما كان . وتجعله يزود ويسمو على كل خجل . وكل غضب . وأراد أن يسخر مر السخرية ممن يقول . « اعط كل ما تملك للفقراء » . وممن يقول « إن هنالك عناية إلهيه ترعانى » . وممن يقول « لقى المرتد حتفه المجد لعدالة السماء » ! ! ومن يصرخ طالبا أن يلقى به للأسود لتفترسه عقاباً له على دفاعه عن

نفسه ضد ستة مصارعين مدججين بالسلاح كانوا يريدون قتله فقتلهم هو وحده .

أغلب الظن أن « شو » أراد أن يقول أن المُثُل التي يرددها غبي مثل « فيروفيوس » لهي غبية مثله .

هذا هو سرد مجمل للشخصيات الرئيسية في هذه المسرحية . وأما بقية الشخصيات فيمكن للقارىء الكريم أن يلقاها في صلب المسرحية .

* * *

إذا أتيت باسم علم من تلك الأسماء المباح التسمى بها لأى كائن فى العالم وأسندت إليه (ياء) النسب و (تاء) المصدريه فإذا بك أمام مصدر دال على مذهب من المذاهب المقررة فى الدين أو الأدب أو الأخلاق أو الاقتصاد أو الاجتماع أو غيرها . فأعلم أن صاحب اسم العلم ذاك الذى اشتق منه ذلك المصدر هو بلا شك أحد الذين دخلوا التاريخ من أرحب أبوابه وخلدوا فيه مع الخالدين .

نحن نقول (الافلاطونية) نسبة إلى أفلاطون و (الابيقوريه) نسبة إلى ابيقور (والبوذية) نسبة إلى بوذا (واللينينيه) نسبة إلى لينين وهكذا . ونحن نسلم تسليما قاطعاً أن هؤلاء جميعاً ومن على شاكلتهم باقون ما بقيت على الأرض حياة .

فإذا سمعنا الخاصة من الناس يقولون (الشوويه) نسبة إلى (شو) فلابد أن نسلم بأن شو هذا قد دخل التاريخ هو الآخر من أرحب أبوابه وأنه خالد فيه مع الخالدين .

فما هى الشوويه . ومن هو شو ! ؟

جُلْ رياض الأدب ــ شرقاً وغرباً وتخير كما يتخير النحل من كل الثمرات

أشهاها وأطيبها وأجمع من كل ذلك باقة أرجة يضم شذاها خليطاً من رقة « أوسكار وايلد » ودقة « شريدان » وعبقرية « شكسبير » وأصالة « ابسن » وسخرية « موباسان » وتمرد « لوثر » وتعمق « داروين » وثورة « نيتشه » وكفر « فولتير » وفلسفة « برجسن » وسعة أفق « تولستوى » . ثم سل بعد ذلك ما هذه الباقة الغريبة ؟ يجيبونك هذه هي الشوويه !

ولد برنارد شو فى دبلن عاصمة أيرلندا عام ١٨٥٦ فى عائلة فقيرة جداً. اضطرته لأن يشتغل صغيراً شغلة حقيرة لم يلبث أن تركها ولحق بأمه فى لندن حيث بدأت تمتهن الغناء لما كانت تمتاز به من صوت ساحر . وهنا ألف خمس قصص رفضها الناشرون . وفى عام ١٨٨٢ وبعد أن قرأ كتاب رأس المال (لماركس) وكتاب النجـاح والفقر (لهنرى جورج) اعتنق المـذهب الاشتراكى وطالب بتأميم الأراضى كلها وأصبح عضواً مهماً فى الجمعية الفابية وهى جمعية انجليزية توفق بين الرأسمالية والاشتراكية دون ثورة .

كتب بعد ذلك ما يزيد عن الثلاثين مؤلفاً منها ١٥ مسرحية . وكلها تدل على طبيعة ساخرة من كل شيء متمردة على كل شيء : على التقاليد ، وعلى الأخلاق ، وعلى الفن وعلى الدين ، وحتى على الله نفسه . كان شو مع هذا بارعاً فى كتابة مسرحياته وهو وان أقامها على قواعد من عندياته لكنه عرف فى الوقت نفسه كيف يملك زمام النظارة ويستولى على مشاعرهم . كتب مسرحية (مقبل على الزواج) فى فصل واحد ولكنه طويل جداً يستمر أكثر من ساعتين كاملتين .

وكتب مسرحية (العودة إلى ماتوشالح) ويقتضى عرضها خمس ليال متوالية .

وكتب مسرحة (الرجل والرجل الأسمى) وتنتقل بالمتفرجين إلى ما وراء

الطبيعة حتى أنهم ليقضون وقتاً غير قصير يتفلسفون .

وهاجم فى مسرحية (بيوت الأرامل) الاقطاعيين وفى مسرحية (مهنة مسز وارن) الفحش والفجور .

ونقد مهنة الطب نقداً مريعاً فى مسرحية (لغز الطبيب) وأزرى بالحرب وأمجادها الزائفة فى مسرحية (السلاح والإنسان) وتحدث عن البروتستانتية فى مسرحية (جان دارك) وسخر بالمسيحية وبسائر الأديان فى مسرحية (اندروكليز والأسد) .

وقد أخذنظرية الانسان الاسمى (سوبرمان) عن « فردريك نيتشه » ونظرية التطور الخالق عن « هنرى برجسون » .

وخلاصة القول انه كان يؤمن بمذهب (مافوق البروتستانتينية) ومؤداه أن الإنسانية سوف تبلغ عبر التطور الخالق إلى درجة من طول العمر تشبه الأبدية .

ومهما يكن من أمر فإننا لا نرى بداً من أن نختم هذه المقدمة بالكلمة الآتية :

ليكن (شو) هو رأس الكتاب الانجليز أو الفلاسفة الانجليز قاطبة .

وليسخر ما شاء بالتقاليد وبالأخلاق وبالفنون وبالأديان .

ولينقد من شاء وما شاء . بل وليرتفع مع أبى العلاء إلى عنان السماء وليردد معه قوله

ولو أن النجوم لدىّ مال نفت كفاى أكثرها انتقادا

كل ذلك ممكن ومباح . ولكن أن يبلغ به التجديف حد التخريف فيقول :

(إن الله (أو قوة الحياة) هو قدرة ناقصة تحاول أن تصبح كاملة .... إذا كان هو عالماً بكل شيء قادراً على كل شيء فلم يكن له أن يسمح بأن تصاب مخلوقاته ببعض البلاء الذى ينزل بهم . فإن الأب العادى لا يرضى بمرض أبنائه إذا كان فى وسعه أن يحول دونه — إن الله قضى كل ما مضى من الزمن فى إعداد الآلات التى اخترعها لكى يبلغ بها حد الكمال . ولكنه وجد أن تلك الآلات أصبحت إما غير نافعة أو غير صالحة للعمل فألقى بها جميعاً جانبا . ولهذا السبب انقرض وحش الماموث وأمثاله . ولما ألفاها كلها عاجزة عن معونته أهملها وبدأ فى خلق سواها : آلة جديدة — هى الإنسان — فالإنسان الآن مخلوق تحت الاختبار فإذا لم ينجح . فهو أيضاً مهدد بالانقراض كما انقرض وحش الماموث)

أظن أن القارىء الكريم يشاطرنى الرأى فى أن هـــذا التجديف بلغ حد التخريف . وسلام على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٢٦ .

على هامش المسرحية

لبرنارد شو

لقد صورت فى هذه المسرحية حادثة من حوادث الاضطهاد التى وقعت من الرومان الوثنيين على المسيحيين فى فجر المسيحية ، صورتها لا كنتزاع بين معتقد باطل وآخر صحيح ، ولكن لأبين عن كنه الاضطهادات التى من هذا القبيل ، والتى لم تخرج كل منها عن كونها محاولة لأخماد دعاية لاح فيها تهديد للمصالح التى تتمثل فى القانون والنظام القائمين . اللذين انشأهما ورتبهما باسم الدين والعدل — حتى استقرا — سياسيون هم فى حقيقتهم نهازون للفرص لا هم لهم إلا الثراء والتملك .

لهذا فما كان شعاع من نور وجدانى يكاد يضىء لدى طائفة من الناس يهديهم إلى احتمال قيام عالم جديد على دعائم روحية تهدف إلى حياة أسمى وأرفه — لا لأشخاصهم فحسب على حساب الآخرين . بل لسائر البشر — لا يكاد مثل هذا الشعاع يبزغ حتى يخافه بالطبع . ويمقته كذلك . أولئك النهازون الأثرياء المتملكون الذين يحتفظون لديهم دائماً بسلاحين باترين يحاربون بهما دعاة ذلك النور الجديد .

فأما السلاح الأول فهو الاضطهاد بواسطة تهييج غريزة القطيع وتنظيمها وتسليحها لكى تحض الناس على كراهة كل خروج على العادات . ثم توقيع

أقسى العقوبات وأشاعة أفزع الافتراءات لأرغام المتفردين بخصائص فذة على أن يسلكوا مسلك الجماهير وأن يذهبوا مذهبهم .

وأما السلاح الثانى فهو دفع القطيع إلى الحرب التى لابد أن تنسيه كل شىء فى الحال حتى حريته التى هى أعز لديه من كل عزيز . والتى شق فى سبيل ادراكها الشقاء الكثير ، وحتى مصالحه الشخصية التى تضيع كلها فى خضم من الكراهية لا يقاوم . وفى القلق المضنى الذى تجلبه معها الحرب دائماً .

هذا فليس ثم ما يدعو إلى الاعتقاد بأن الاضطهادات الرومانية كانت تنطوى على أسباب غير هذه .

فأن النظرة التى كان ينظر بها الامبراطور الرومانى وضباطه وموظفوه إلى إلى الآراء التى تقدم لهم لا تختلف فى كثير عن النظرة التى يرمق بها وزير الداخلية البريطانى الآن صغار الطبقة المتوسطة عندما يوجه إليهم أحد رجال الشرطة الأتقياء تهمة « مجافاة الذوق » وهى التهمة التى تدعى اصطلاحاً (تجديف) .

علماً بأن « مجافاة الذوق » ما هى فى الواقع غير عكس « سلامة الذوق » الذى يدعى عادة « نفاق » .

ليس هناك شك فى أن كلا من الوزير والقضاه الذين سيحكمون فى الدعوى لا يقلون شكا ولا تجديفاً عن المساكين الذين يقع عليهم الاضطهاد . وأن صيحات الاستنكار التى يصيحونها ضد الاعترافات الصريحة التي يفضى بها المتهمون تثير الاشمئزاز لدى الذين يتتبعون هذه المناظر من بعيد ولديهم حاسة دينية سليمة ، ولكن العملية كلها تتم لأن الطبقات الحاكمة الواثقة من أن القانون الذى ضد التجديف لن يطبق عليها ، تقر بكل قوتها مثل هذا الاضطهاد لأنه يمكنها من تسويغ امتيازاتها الشخصية كجزء من صميم دين الدولة .

لهذه الأسباب فإن شهداء مسرحيتى هم كشهداء كل العصور ومضطهديها ماهم إلا كمضطهدى كل الأزمنة .

فامبراطورى . الذى ليس لديه أقل شعور بقيمة حياة أفراد شعبه والذى يسلى نفسه بالقتل كما يسلى نفسه بالعفو على السواء . ما هو إلا نوع من ذلك الوحش الذى يتمثل فى الجنتلمان الماكر الخبيث . عندما نجعل منه وثناً ، نرفعه إلى مصاف الآلهة .

بيد أن العجيب فى الأمر هو أن يبلغ تأثير مثل هذا المعبود من دون الله حداً يجعل أحد قساوسة إحدى الكنائس الحرة فى لندن أن يشهر بمسرحيتى هذه بدعوى أن امبراطورى الممعن فى الاضطهاد هو شخصية غاية فى الظرف وأن المسيحى المضطهد ما هو إلا شخصية تدعو للسخرية — الأمر الذى يمكننى منه أن أستنتج أن المنبر العام قد يكون له من الخطر على نفس الانسان ما للعرش الامبراطورى تماماً .

ولا شك أن القارىء قد لاحظ أن كل المسيحيين الذين ورد ذكرهم فى مسرحيتى هذه يتحمسون لأشياء مختلفة يتخذونها ديناً لهم فى مواجهة الدين الرسمى للبلاد . ومن ثم فإنه يعرضهم معاً لمصير مشترك .

أما (أندروكليز) فهو طبيعى محب للانسانية له من الآراء ما أدهش الجميع وأما (لافينيا) فهى إمرأة ذكية شجاعة تذهب فى حرية الفكر إلى درجة أرعبت (فيروفيوس) المسيحى القُح الذى يقل عنها تفكيراً ولكنه يخضع لحساب ضمير شديد الحساسية .

وأما سبنتو فهو ذلك الخليع المرذول الذى يشكل طراز المسيحى فى ذلك العهد — عهد القديس أوغسطين الذى كان يعتقد فى وقت ما أن أغلبية المسيحيين كانوا لا أخلاق لهم . ولا شك فى أنه كان إلى حد ما صادقاً فطالما رددت بأن

الحركات الثورية تجتذب إليها أولئك الذين يقصرون عن بلوغ المستوى المطلوب تحت النظم القائمة كما وأولئك الذين يعلو مستواهم عن متطلبات تلك النظم .

هذا . ولعل أبرز ما فى هذه المسرحية الآن هو أن موضوعها لاقى اهتماماً بمناسبة الحرب . فلقد كنا فى عصر السلام عند ما أوضحت على لسان (فيروفيوس) الطريق الذى يجب أن يسلكه الرجل الشريف إذ يكتشف أنه عندما يدق ناقوس الحرب لم يعد يستطيع أن يمضى فى أثر المسيح .

وقبل ذلك التاريخ بعدة سنين لمست نفس الموضوع بأسلوب أكثر وضوحاً فى مسرحية (تلميذ الشيطان) إذ بينت كيف خلع القسيس عنه إلى الأبد مسوح الرهبنة السوداء بمجرد أن اكتشف — بين رعد القباطنة وصخبهم — أنه إنما ولد ليكون محارباً ومقاتلا .

ولقد وجد عدد كبير من رجال الكنيسة عندنا أخيراً أنهم فى موقف كموقف فيروفيوس فى مسرحية (أندروكليز والأسد) وانتونى أندرسون فى مسرحية (تلميذ الشيطان)

لقد وجدوا أنهم أصبحوا ليسوا كارهين لأعدائهم فحسب بل لكل من لا يشاطرهم هذه الكراهية ثم أنهم عدا هذا راغبون فى القتال . وفى ارغام غيرهم على القتال كذلك .

ثم إنهم فوق هذا أحالوا كنائسهم إلى مراكز للاقتراع واقبيتها إلى مصانع للذخائر .

بيد أنه مع ذلك لم يحدث أبداً أن خلعوا عنهم مسوحهم السوداء أو أن واحداً منهم أعلن قائلا فى سهولة ويسر (إنى لأجد فى ساعة البلاء أن موعظة الجبل لغو وإنى لم أعد مسيحياً على الاطلاق وإنى لأعتذر عن كل السخف الذى

لم يكن يحض على حب الوطن والذى كنت أمضى فى التبشير به طيلة هذه السنين . وإنى لأرجوكم أن تتكرموا وتعطونى مسدساً وتأذنوا لى بأن التحق بكتيبة يكون قسيسها أحد قساوسة آلهة الحرب « مارس » الذى هو الهى الذى أعبده الآن) .

ولكن لا شيء من ذلك قد حدث أبداً ! !

لقد لزموا سبل حياتهم كما كانوا دائماً وعكفوا على عبادة « مارس » باسم المسيح . الأمر الذى لطخ بالعار كل البشرية المتدينة على وجه الأرض .

ولما حدث أن تصرف رئيس أساقف يورك كرجل مهذب وخطب عميد كلية ايتون موعظة مسيحية وثار عليه الرعاع فما كان من قساوسة آلهة الحرب إلا أن شجعوا الرعاع عليه.

وقد فعلوا ذلك دون أن يعتذروا أى اعتذار أو يظهروا أى أسف صادق أو كاذب بل استرسلوا فى أهوائهم كما كانوا يسترسلون دائماً فى ضلالهم وفى مصالحهم ومغانمهم دون أن يتريثوا لحظة واحدة ليتساءلوا عما إذا كانوا مسيحيين فعلا أم لا .

مما تقدم نرى أنه حتى ما بين الرجال الذين اتخذوا الدين مهنة لهم لا تزال الأغلبية الكبرى تعبد آله الحرب كما يعبده سائر الجماعات الأخرى .

فالقس العادى ليس غير موظف يكسب قوت يومه بواسطة تنصير الصغار وتزويج الكبار وإتمام الطقوس الدينية وانتهاج أفضل السبل (إن كان لديه الضمير الكافى) فى الاشراف على إدارة مدرسة . أو فى زيارة إقليمية . أو تنظيم عملية جمع الصدقات أو غير ذلك مما لا يمس المسيحية فى شيء عدا طرف اللسان .

أما القسيس المتدين تدينا غير عادى . فقد يكون شديد الغيرة فعلا . وواحدا من رجال جيش الخلاص حقا . وفى هذه الحالة فان الذين هم أكثر ثقافة منه فى دائرته يكرهونه ويقولون عنه ساخرين انه يجدر به ان ينضم الى انصار المذهب النظامى (Methodists) .

وقد يكون فنانا يعبر عن احساسه الدينى دون أبانة عقلية أى بنظم الشعر أو بالموسيقى أو الرسم أو التشييد أو ما شاكل ذلك وهو أيضا يثير العاطفة الدينية بوسائل طبيعية كالصوم والتهجد وغيرهما ومثل هذا الرجل يشهر به بان يوصف بأنه متمسك بالطقوس الدينية (Ritvalist) .

وقد يكون أحد المسيحيين المؤمنين بالتوحيد المنكرين للثالوث (Unitarian) « كفولتير » أو « توم بين » أو أحد أفراد المذهب الانجيلى الأحدث الذين يعتقدون بأن الروح القدس هى الدفعة الحيوية التى قال بها « بيرجسون » . وان الابن والاب هما مجرد تعبير عن حقيقة كون وظائفنا . ووجهات نظرنا متعددة الاشكال والانواع . وأننا نحن كلنا أبناء . وكلنا آباء أما فعلاً أو حكماً — وفى هذه الحالة نجد المتزمتين من رجال جيش الخلاص يحيطونه بالشبهات ويرمونه بتهمة الزندقة .

كل هذه الانواع المختلفة كما ترى تثير ملاحظة هامة :

قد يكونون جميعا محبوبين من جماهيرهم . غير أنهم معتبرون فى نظر الرجل العادى بعض شواذ الكنيسة . ذلك لان الكنيسة مثلها مثل المجتمع الذى هى عضو فيه . انما توازن وتثبت بواسطة جموع الشعب الساذج الذى يتخيل علم اللاهوت فوقه كالشىء العظيم الذى لايتحدث عنه الا بالاكبار والاجلال كما يتحدث عن المأساة الاغريقية أو الموسيقى الكلاسيكية أو الرياضيات العليا . بيد ان هذه الجموع نفسها تفرح أشد الفرح بمجرد

انتهاء الكنيسة لكى تستطيع العودة إلى المنزل لتناول الغذاء أو العشاء أو لغير ذلك من الأغراض التى لم تتخذ بشأنها حكماً قائماً على برهان أو تفكير . ولكى تتأهب فى نفس الوقت لاضطهاد أى مفكر حر لاحول له ولا قوة . لمجرد قوله ان « القديس جيمس» غير معصوم. أو لكى تلقى بأى شخص آخر من الشواذ المفكرين فى غيابة السجن لا لذنب سوى أن شذوذه قد حدا به إلى أن يأخذ كلام « القديس جيمس » مأخذ الجد .

وقصارى القول هى ان الشهيد المسيحى القديم انما ألقى به للأسود ليس لكونه مسيحيا وإنما لكونه غريب التفكير أى لأنه من ذلك النوع الفذ من الناس . ولقد هرعت جميع الناس يومئذ – وهى جموع لاتقل عنا مدنية ولا رقة وأنساً – هرعت لتمتع النظر به عندما تفترسه الأسود الضارية شأنها فى ذلك شأن الذين يهرعون الآن إلى حديقة الحيوان يحتشدون حول بيت الاسد ليمتعوا أنظارهم به ساعة تناوله طعامه ! ويقيناً أنهم مافعلوا ذلك لكونهم يأبهون بالمسيح أو بديانا ، أو لكونهم يستطيعون أن يقدموا لك بيانا شافيا صحيحا عن الأشياء التى يختلف هذان عليها والتى من أجلها وقفا هذين الموقفين المضادين لبعضهما . كلا بل لمجرد كونهم أرادوا أن يمتعوا النظر بمشهد جد مثير جد عجيب .

وانت ايها القارىء العزيز أرأيت اذ هرعت مرة لترى بعينك حريقا يتأجج . أرأيت اذا جاءك أحد وأبلغك ان اسدا يتعقب رجلا فى عرض الشارع ليفترسه الا تندفع توآ الى نافذتك ؟ ثم أرأيت اذا قال لك أحد بعد أنك لاتقل قسوة وشراسة عن أولئك الذين أطلقوا الاسد على الرجل . هلا يأخذ منك الغضب كل مأخذ ؟؟

ونحن الألى لم نعد نرى رجلا يشنق على مشنقه . لانزال نحتشد خارج

باب السجن لنلقى نظرة على العلم الاسود اذ يرفرف فوق دعامته ايذانا بذلك . وتلك لعمرى هى خطتنا البليده فى التمتع بالغريزة الرومانية العتيقة نفسها .

ولو فرضنا أن الحكومة قررت أن تلقى غدا ذوى الآراء الشاذة النافرة الى الاسود فى قاعة « ألبرت » فهل هناك شك فى أن جميع المقاعد ستكون محجوزة مملوءة . وأغلب شاغليها من ذلك الصنف من الناس الذى لايفقه شيئا عما تحمله تلك الآراء من خطأ أو صواب وما أكثر الأشياء التى حدثت وهى أقل من هذا احتمالا للتصديق .

بيد أنه لاشك فى أنه إذا حدث اضطهاد كهذا فى القريب العاجل فان الشهداء لن يكونوا أعضاء الجمعيات المضادة للدين بل الخارجين على العرف من أمثال المعارضين لتشريح الحيوانات الحية والهازئين بالمعامل الكيماوية والكافرين بالعلم الذين يرفضون ان يركعوا أمام صف من جبابرة الدكاترة الاخصائيين .

ومهما يكن من أمر فان الاسود لاتزال قادرة على الايذاء . كما كانت دائما . وان النظارة سيظلون يمتعون أعينهم نفس المتعة التى كانت تشعر بها الاسود الرومانية والنظارة الرومان سواء بسواء .

وأخيرا لقد نمى الى أنه جاء فى احدى الجرائد التى تصدر فى برلين أنه بينما كانت مسرحية « اندروكليز » هذه تمثل لأول مرة هناك وقف فخامة ولى العهد غاضباً وغادر المسرح فى الحال لأنه لم يستطع أن يحتمل سماع حديث الضابط الرومانى للمساجين المسيحيين ذلك الحديث الذى أرجو أن أكون قد أودعته عرضا واضحاً جداً وجميلا جدا للامبريالية المتحكمة العاتية

ولم يبلغنى ان امبرياليا انجليزيا واحدا قد بلغ به الذكاء والجد الى حد

أن يفعل فى لندن مافعله صاحبنا فى برلين . فاذا كان ماتمى الى عن فخامة ولى عهد المانيا صحيحا فانا لايسعنى الا أن اسجل هنا تأييدى لسلامة منطقه واغتباطى لأن أجد نفسى مفهوما كل هذا الفهم . بيد أنى أستطيع أن أؤكد لفخامته ان الامبراطورية التى اتخذت منها نموذجى عندما ألفت مسرحية « اندروكليز » هى — كما لابد قد علم الآن وهو الخاسر — أقرب نسبا لوطنى منها للامبراطورية الالمانية ..



مقدمة الكتاب لبرنارد شو

وتشمل على ٢٩ مقالا مختلفا

لم لا نسمح للمسيحية بتجربة ؟

يبدو وقد أتى على العالم ألفا عام وهو ملتزم التزاماً متعمداً بالصيحة القديمة ... (ليس هذا الرجل بل « بارباس ») (١) يبدو أن القضية أصبحت ميئوسا منها .

غير أنه قد بدأ يبدو مع ذلك أن « باراباس » قد فشل فشلا ذريعا بالرغم من قوة يده اليمنى ومن انتصاراته ومن امبراطورياته ومن أمواله التى تعد بالملايين ومن أخلاقياته ومن كنائسه ومن نظمه السياسية جميعا .

أما (هذا الرجل) فلم يثبت بعد أنه قد فشل . وذلك لأن أحدا فى العالم كله لم تبلغ به رجاحة العقل أن يجرب طريقه . ثم أنه فوق ذلك قد نال نصرا عجيبا واحدا :

أن « بارباراس » قد سرق اسمه واتخذ من صليبه علماً له . ولا ريب أن فى ذلك تحية وتكريما . بل اكثر من هذا أن فيه نوعا من الولاء الشبيه بولاء قاطع الطريق الذى ينتهك كل القوانين ويدعى فى الوقت ذاته أنه مواطن محب اوطنه مخلص لملكه الذى شرع تلك القوانين .

---

(١) كان من عادة الوالى الرومانى قديما أن يطلق أحد الأسرى تيمنـــا بمناسبة عيد الفصح وكان يوجد فى عيد ما اسيران معا أحدهما السيد المسيح والثانى لص سفاك يدعى « باراباس » فلما سأل « بيلاطس » والى المقاطعة رؤساء اليهود عمن يختارونه منهما ليطلق سراحه ، صاحوا تلك الصحة المنكرة « ليس هذا الرجل بل باراباس » .

لقد سادنا دائماً احساس غريب بأننا وان كنا قد صلبنا المسيح على « خشبه » فلقد استطاع هو بطريقة ما أن يستمسك بالطرف القويم منها . وأننا لو كنا ناسا أفضل لاتبعنا نفس طريقته .

لقد حدثت فعلا محاولة أو محاولتان عقيمتان من هذا القبيل من أناس غير أكفاء مثل محاولة اقامة (مملكة الله) فى « منستر » التى انتهت بحادث صلب بلغ من الغلو فى الشناعة ما أربى على صلب المسيح حتى ان الاسقف الذى قام بدور أنانيا (١) فيه ما كاد يصل الى بيته حتى هلك من فرط الرعب .

هذا ولكن الكيسين الفطنين من الناس لم يقدموا قط على مثل تلك المحاولات .

فذوو المال والاحترام والكفاية قد دأبوا منذ صلب المسيح على أن يختطوا لانفسهم سبيلا مضادا للمسيحية ومتفقا مع « الباراباسيه » (٢) كل الاتفاق .

وعلى طول هذا المدى الفسيح لم توضع « عقيدة » يسوع التى تميز بها موضع التنفيذ لا من الوجهة السياسية ، ولا من الوجهة الاجتماعية العامة .

فأنا لست أكثر مسيحية من « بيلاطس » ولا أنت أيضا أيها القارىء الكريم . ورغم ذلك فانى — مثلى فى ذلك مثل بيلاطس نفسه — أوثر « يسوع » على « أنانيا وقيافا » وأنى على استعداد أن أقر رأيى — بعد أدامة التأمل فى هذا

(١) انانيا وقيافا هما رئيسا الكهنة اللذان حاكما المسيح وحكما عليه بالموت صلبا .

(٢) نسبة الى « باراباس » .

العالم وفى الطبيعة الانسانية زهاء ستين عاما لست أرى مخرجا لهما من شقائهما الا عبر الطريق الذى كانت تهتدى اليه ارادة المسيح لو أنه تبوأ مكانة سياسى عملى متحضر .

ألتمس اليك أيها القارىء أن لايضيق صدرك معى عند هذه البداءة فتغلق الكتاب سأما . وأؤكد لك أنى لا أقل تشككاً ولا علماً ولا تفكيراً عصرياً عن أى انسان آخر على هذه الارض وأضمن لك أنى أكثر اطلاعاً بمراحل شتى من «يسوع» نفسه سواء فى الاقتصاديات أو فى العلوم السياسية . وأنى أستطيع أن أضطلع بأعمال لم يكن يستطيع هو القيام بها .. وأنى فوق ذلك كله طبقا لجميع المقاييس «البارباسيه» رجل ذو خلق اسمى وثقافة اغزر وأفق عملى أعرض من غيرى من الناس .

وأنى لست عطوفا على المتشردين ، ولا على المهاترين الذين يحاولون اصلاح المجتمع بواسطة صرف الناس عن العمل الدؤوب المنتج ومن ثم يحيلونهم الى متشردين ومهاترين مثلهم .

وانى لو كنت أنا« بيلاطس» لأدركت بنفس السهولة التى أدرك هو بها . ضرورة اخماد الهجوم على النظام الاجتماعى القائم — مهما كان فى ذلك النظام من فساد — الذى أثارته فئة لا دراية لها بأصول الحكم . ولا حول لديها تشيد به صرحا سياسيا تنفذ به نظرياتها وهى فى الوقت نفسه ترتكز على تلك الخرافة الشديدة الخطر التى تزعم بأن الدنيا قد قاربت على النهاية .

أنا لا أدافع هنا عن المسيحيين من أمثال «سافوثارولا» (١) أو «جون

---

(١) «سافونارولا» ١٤٢٣ — ١٤٩٨ مبشر ومصلح دينى كبير . هاجم الطقوس الدينية فى عهد البابا اسكندر السادس الذى حرمه من الكنيسة ثم سجنه وقتله شر قتلة .

أوف ليدن» (١) اللذين أرادا أن يغرقا السفينة قبل أن يتعلما كيف يحزمان رمثاً واحدا (٢) ولذلك كان من الضرورى أن يلقيا من فوق السفينة الى البحر كى يمكن انقاذ سائر البحارة ...

أنى انما أقول هذه الكلمات لكى أصل الى تفاهم مع المجتمع الانسانى المحترم .. بيد أنى لا أفتأ أكرر أنه لو أن يسوع تمكن من تولى حل المشاكل العملية لمجتمع شيوعى . بالالتزام بمعالجة الجريمة بدون حقد أو انتقام الاضطلاع الكامل من جانب الإنسانية بمسئوليات السماء . لو أنه قام بهذا اذن لأحسن للانسانية احسانا لا يقدر بثمن وذلك لان اراءه المتميزة التى سبق أن نادى بها قد بدأت الآن تبرهن على كونها حجى سليما واقتصادا ناجحا .

ولقد وصفت تلك الآراء بكلمة (متميزة) . لان انسانيته المشتركة وخضوعه للزمان والمكان (أى للحياة السورية القائمة فى عصره) قد لفاه فى مفاهيم عديدة خاطئة أو صائبة دون فرق بينه وبين سوريى عصره . ولكن تلك المفاهيم المشتركة لاتشكل المسيحية المتميزة الا كما يشكلها ارخاء لحية أو حرفة نجار أو الظن بأن الأرض مسطحة وان النجوم تتساقط على الارض من السماء كما يتساقط البرد .

ان المسيحية قد اصبحت الآن ذات أهمية كبرى لدى الساسة العمليين

---

(١) جون ليدن » ــ ١٥٣٦ أحد زعماء المطالبين بتكرار التعميد . قتل اثناء التعذيب الفظيع الذى وقع فى منستر سنة ١٥٣٦ .

(٢) «الرمث» خشب يضم بعضه الى بعض لتحمل عليه المنقولات فى البحر .

بسبب العقائد التى تميز بها المسيح عن اليهود وعن «الارباسيين» جميعاً ونحن اولاء فى ضمنهم .. .

لماذا يفضـــل يســـوع سواه ؟

بيد أنى لا أعنى بقولى هذا أن تلك العقائد كانت وقفا على المسيح وحده خاصة به دون سواه .

لأن العقيدة التى ينفرد بها شخص واحد عن سائر الناس ليست الا خيالا . اللهم الا اذا كان ادراكها منشؤه رقى فى العقل البشرى نادر الى حد أن فرداً واحداً ذا موهبة فذة هو الذى يملكه .

وحتى فى هذه الحالة فانها تكون عقائد عديمة النفع لانها غير قابلة للانتشار .

ان المسيحية هى خطوة من خطى التطور الاخلاقى . مستقلة كل الاستقلال عن تبشير أى شخص ما .

فلو أن يسوع لم يأت اطلاقا (ولا شك أن هناك من يؤكدون بأنه لم يكن له من وجود الا كوجود «هاملت» شاكسبير) فان «تولستوى» (١) كان قد فكر وبشر وخالف الكنيسة الاغريقية بنفس المنوال تماما .

---

(١) «تولستوى» راس الادب الروسى : «١٨٢٨ - ١٩١٠» الف عدة كتب أهمها (الحرب والسلام » و « انا كارنينا » و «قوة الظلام » و «البعث» و « آخر العمر » الخ الخ

ان عقائدنا كانت تطبق متقطعة على نطاق واسع بالرغم من أن قوانين جميع الدول كانت تعتبرها بالفعل مذهبا اجراميا .

وكثيرون من الذين دافعوا عنها كانوا من الملاحده الذين ينشرون ألحادهم .

بيد أنه . لعلة ما . استقر خيال الجنس الابيض من البشر على اختيار «يسوع» بلدة الناصره لكى يكون هو المسيح ونسبوا اليه كل المعتقدات المسيحية.

وبما أن الذى يهم هو المعتقد لا الشخص .. وبما أنه لا فرق بين هذا الرمز أو ذاك بشرط أن كل انسان يستخرج منهما نفس المعنى فأنى لن أثير — فى الوقت الحاضر — تساؤلاً حول مدى أصالة الاناجيل . ومدى ماتحتويه من الحكم الاغريقية والصينية .

انالنصبأن «يسوع» قالقولاما ليسيضعفه ثبوتان«كونفوشيوس»(١) سبق ان قال نفس القول قبله .

وان الذين ينادونبالابوة الالهية الحرفية لا يمكن اسكاتهم لمجرد اكتشاف ان كلا «الاسكندر المقدونى» (٢) «والامبراطور اغسطس» (٣) سبق لهما أن أضفى عليهما نفس الشرف .

(١) «كونفوشيوس» (٥٥١ — ٤٧٩ ق م) فيلسوف صينى ذائع الصيت ذو مذهب رفيـــع فى الاخـــلاق .

(٢) الاسكندر المقدونى (٣٥٦ — ٣٢٣ ق م) ملك مقدونيا. القائد الاشهر الذى فتح عالم عصره كله .

(٣) الامبراطور اغسطس (٦٣ ق م—١٤ م) من أعظم امبراطرة الرومان ومن أكبر انصـــار الادب .

هذا الى انى لست مشتغلا بمدى صحة الاناجيل كسجلات وقائع — فانا لا أعمل فى الشرطة السرية — ولكنى أنما الى الاضواء العصرية على بضعة آراء وعقائد تخللتها تختلف عما عداها بكونها تناقض تناقضا تاما كل عرف وكل عقل وكل معتقد . ورغم ذلك فأنها ظلت بين أنياب العناد والمكابره تنفث ما يوحى وحيا لاسبيل الى مقاومته بأن المسيح — ولو أن المتأخرين من اتباعه قد أعرضوا عنه على اعتباره انه كان ذا احلام غير قابلة للتنفيذ . والمتقدمين من معاصريه قد قتلوه على اعتبار أنه فوضوى خطر ومجدف مجنون — هو أعظم واسمى من جميع قضاته .

هل كان يسوع جبانا ؟

أنى أعلم علم اليقين أن ذلك الشعور بالسمو ليس عاما لدى كل الناس . حتى ولا لدى أولئك الذين يظهرون التأثر الشديدبه .

واذا أنا وضعت جانبا تلك الطوائف الهائلة العدد التى تمارس عبادة المسيح عن تقليد (اذ هى لاوزن لها بما أنها لا ذكاء لديها) فان هناك طائفة حرة التفكير حقا فى هذا الصدد تحمل كراهية قلبية شديده ليسوع وازدراء لعجزه عن ان يخلص نفسه ويقهر اعداءه بمثل الشجاعة الشخصية والذكاء الخارق اللذين تميز بهما محمد (صلعم) .

ولقد سمعت بأذنى هذا المعنى يتردد على لسان قوم نشأوا وشبوا على الدين المسيحى فى انجلترا فى تعبيرات أشد عنفا بكثير عن تعبير المسلمين الذين هم . شأنهم فى ذلك شأن نبيهم يحترمون يسوع احتراما بالغا ويرفعونه

الى مقام من الأجلال والاكبار لايقل ابدا عن المقام الذى نرفع نحن اليه يوحنا المعمدان (١) .

بيد أن ذلك الازدراء البريطانى العنيد أنما بنى على سوء فهم مطلق للدوافع التى دفعت به بأن يقبل راضيا مثل ذلك التعذيب . ومثل تلك الميتة .

أن الرجل المتمدين غير المتدين غالبا ما يصر على اعتبار يسوع رجلا مثله تماما بلا أى فارق وكثيرا ما يسىء التعبير دون وعى فيقول « أخال يسوع يشاطرنى هذا الرأى ».

ولكن الامر الواضح غاية الوضوح فى أقوال كتاب العهد الجديد (وهم الدعامات الرئيسية التى يبنى عليها الاعتقاد بأن يسوع قد وجد فعلا) هو ان « يسوع » كان يعتقد وقت موته أنه هو المسيح أى (ذات الهيه) .

ولذا فأنه من غير المعقول أن ننتقد مسلكه تجاه بيلاطس كما لو كان هو الكولونيل روزفلت أو الاميرال فون تيربتز . أو حتى كما لو كان هو محمدا نفسه .

وسواء قبلت اعتقاده فى ألوهيته بالقدر الذى كان يعتقده سمعان بطرس(٢) أو رفضته على أنه كان وهما قاده الى الخضوع للتعذيب وللتضحية بالحياة الدنيا دون أية مقاومة تحت الاقتناع بأنه سيقوم مرة ثانية فى المجد . سواء كان هذا أو ذاك فانك ملزم بأن تسلم بأنه كان أبعد ما يكون عن السلوك كجبان أو كحمل بل أنه قد ابدى تجلدا عظيما عندما استهدف للامتحان

---

(١) يوحنا المعمدان المدعو البشير هو الذى قام بتعميد السيد المسيح. قتل حوالى ٢٨ – ٣٠ م بناء على طلب (سالومى)

(٢) سمعان بطرس(١٠ ق‌م–٦٧م) استشهد فى‌روما تحت‌حكم‌الامبراطور نيرون .

القاسى العتيد الذى كان يمكنه ان يدفعه عن نفسه بنفس القوة التى اخرج بها الصيارفة من الهيكل . (١)

« يسوع الطيب الوديع المتواضع » هذه كلمات يتندر بها المحدثون تهكما دون ان يكون فى الاناجيل مايبرر لهم هذا التهكم . لقد كان فى وسع القديس « متى » ان يبادر فيطلق مثل هذه الصفات على جوداس المكابى كما أطلقها على « يسوع » . وحتى القديس « لوقا » الذى وصف يسوع بالأدب والرحمة لم يسمه « وديعاً » .

ان تصوير المسيح فى صورة القس الانجليزى فى الكوميديا العابثة الذى كان أطيب وألين من أن يجابه شرطيا والذى كان لهذا السبب هدفا لسخرية كل الناس . ذلك التصوير انما يصلح للعرض فى حجرة الاطفال لحضهم على الاخلاد الى السكون .

أما أن تقول بأن شخصا بهذا الضعف امكنه ان يكون فى وقت ما هو موضع انتباه العالم بأسره فذلك هو الهراء الذى لايمكن مناقشته .

نعم ان البالغين والبالغات من الرجال والنساء قد يذكرون بالثناء شخصاً طيباً يعرب عن عواطف كريمة وان كان من الضعف والعجز بحيث لايتقدم لنجدتهم إن دعى لذلك ولكنهم فى الوقت نفسه يرفضون بتاتا ان يتبعوه أو أن يأتمروا بأمره لانهم لايرتضون لأنفسهم ان يشاطروه هزيمته وعاره .

هل كان يسوع شهيدا ؟

لهذا فانه من الاهمية بمكان ان ننقى عقولنا من فكرة ان يسوع قد مات

---

(١) وجد يسوع أن الصيارفة شغلوا الناس عن العبادة فطردهم وصرخ فيهم قائلا « بيتي بيت الصلاة يدعي وأنتم جعلتموه مغارة للصوص » .

كما درج بعضنا على تقرير ذلك — فى سبيل آرائه الاجتماعية والسياسية .

لقد حدث ان استشهد كثيرون فعلاً فى سبيل تلكم الآراء .. ولكنه لم يكن واحدا من هؤلاء ولا كان يرى — كما يفهم من كلماته — اى معنى للاستشهاد أكثر مما كان يرى ذلك جاليليو . (١)

ان اليهود قد أدانوه بتهمة التجديف وادعاء الالوهية . وان بيلاطس — الذى كان يرى هذا كله هذرا وهذيانا . تركهم يقتلوه لان ذلك كان هو ايسر السبل لتهدئتهم على أساس الدعوى الرسمية بأنه قد اقترف خيانة ضد روما اذ زعم نفسه ملكا على اليهود .

فى الواقع هو لم يتهم اتهاما كاذبا ولا حيل بينه وبين أية فرصة كانت لديه للدفاع عن نفسه .

ولقد كانت اجراءات المحاكمة سليمة مستقيمة .

وبيلاطس الذى كان الاستئناف بين يديه حاباه وحقر قضاته واظهر رغبة كافية فى أن تتم المصالحة .

ولكن بدلا من ان ينكر يسوع الاتهام الموجه اليه فأنه عاود الاعتراف بما اتهم به مرة ثانية .

لقد كان يعلم ما يفعل .

لقد سبق له ان بلبل افكار عدد كبير من تلاميذه وألقيت عليه الحجارة فى الشوارع من جراء ذلك .

انه لم يكن يكذب ابدا . لقد كان يعتقد بصحة كل حرف ينطق به .

لقد كان فزع الكاهن الاعظم طبيعيا جدا بغير شك .

---

(١) جاليليو (١٥٦٤ — ١٦٤٤) عالم فلكى عظيم . اول من اخترع التلسكوب فى العالم لرصد الفلك .

انه كان الكاهن المسؤول . وها هو ذا يجد أمامه فى عرض الشارع من يبشر ضد الدين ناطقا بما يبدو له تجديفا وقحا ذريعا .

وكون ذلك التجديف نفسه لم يكن بالنسبة ليسوع نفسه الا مجرد سرد حقائق .

وكون ذلك التجديف اتخذ بعدئذ على أساس انه حقائق بمعرفة جميع الدول الغربية — كل ذلك ما كان ليضعف من شأن الاجراءات . ولا يعطينا الحق فى أن نعتبر (انانيا وقيافا) (١) شر مكاناً من أسقف كنيسة كانتربرى أو عميد كلية ايتون .

لو ان المسيح قدم للمحاكمة أمام محكمة متحضرة اذن لقام بفحصه طبيبان ولوجدا انه يتملكه وهم ما . ولقررا أنه لاقدرة له على الدفاع عن نفسه ولأرسل بعدئذ الى احدى المصحات . هذا هو كل ماهنالك من فارق .

ولكنى استميحك معذرة فى القول بأنه عندما يحاكم رجل امام محكمة متحضرة — ولنأخذ لنا مثلا حدث منذ بضعة ايام فقط لرجل ادعى وأصر على الادعاء بأنه كان ضابطا وقد عاد من الصفوف الامامية لكى يتسلم نوط صليب فكتوريا من يد الملك . بينما هو فى الحقيقة لم يكن غير ميكانيكى — هذا الرجل لم يعتبر أن به وهماً — بل لقى قصاصه على اساس انه ادعى ادعاء كاذبا وانتحل ماليس له بحق وذلك لان ادعاءه كان يحتمل ان يكون صحيحا . فهو اذن يبغى من ورائه التضليل .

وللسبب ذاته . فان دعوى الالوهية التى ادعاها يسوع كانت فى نظر الكاهن الاعظم الذى يثق فى ظهور المسيح ثانية . دعوى محتملة التصديق عقلا ولذا فهى مضللة للناس أخطر تضليل .

---

(١) « انانيا وقيافا » سبق الايماء اليهما بالصحيفة الثانية من هذه المقدمة

هذا هو الدافع الذى دفعه الى معاملة يسوع كمخادع مجدف حيث كان يجب ان يعامل كرجل به جنة .

الأناجيــل دون تحيــز

كل هذا الذى أقول سيبدو واضحا اذا نحن قرأنا الاناجيل دون اى تحيز .

عندما كنت فى صباى كان من المستحيل على ان اقراها دون ان يختلط الفكر بخبل الخيال .

ولقد كان الخبل من التشويش بحيث انه كان يتستر تحت اسم (الروح الذى يجب ان تقرأ به الاناجيل) .

كان يسوع وليدا ومع ذلك كان فى الوقت نفسه اكبر سنا من الكون كله !

كان رجلا وامكن اضطهاده ورميه بالحجارة وضربه بالسياط وقتله ومع ذلك كان فى الوقت نفسه ألها خالدا وقادرا على كل شىء . يحيى الموتى . ويأتى بملايين الملائكة لمساعدته متى شاء .

وكان من الخطيئة ان تشك فى صدق احد هذين الوضعين اى انه كان من الخطيئة ان تفكر بعقلك فى امره .

والنتيجة النهائية لكل ذلك هى انك لاتدخل فى جدال بشأنه وانك لاتقرأ عنه الا اذا أرغمت على ذلك .

وفوق هذا فأنك اذا انت سمعت قصص الاناجيل تقرأ فى الكنيسة او رأيتها مصورة بمعرفة الرسامين والشعراء فانك تخرج من ذلك بتأثير عن محتوياتها يدهش الرجل الصينى الذى يقرأ القصص دون ما تحيز سابق .

حتى الفلاسفة المتشككين الذين هم دائما فى حذر - قد وضعوا الكتاب المقدس فى قفص الاتهام - واخذوا فى قراءة الاناجيل بغية اكتشاف مخالفات بين القصص الاربع لأثبات ان كتابها كانوا عرضة للخطأ مثلهم مثل محررى صحف الامس تماما .

بيد ان هذا كله قد تغير تغيرا كبيرا خلال جيلين اثنين . فى عصرنا هذا قد قلت قراءة الكتاب المقدس لدرجة ان اللغة التى كتب بها النص المعتمد أصبحت لغة ميتة . وحتى فى الولايات المتحدة نفسها حيث لايزال يتعثر ذلك التقليد القديم القائل بقدسية نص (كتاب الكتب) قد جدت له ترجمات حديثة باللغة الانجليزية العصرية لكى تبقى على تداوله بين الناس .

لا. بل ان من أيسر اليسير ان تجداليوم قوما مثقفين لم يلقوا نظرة واحدة على (العهد الجديد) . وهؤلاء هم الذين يمكن ان تجرى معهم تجربة تكليفهم بقراءة الاناجيل وتقرير ماقد حصلوا عليه حول تاريخ يسوع وآرائه واخلاقه .

الأناجيل الآن عسيرة الفهم على المبتدئين

ليس يكفى ان تقرأ الاناجيل بذهن أعد فقط لقراءة تاريخ حياة شخص شبيه مثلا بالشاعر «جيته» (١) .

انك اذن لن تستخرج اى معنى منها بل ولن تستطيع دون اعياء مرهق ان تسترسل فى المثابرة على تفهمها مالم تكن ملماً باطراف الخيال الانسانى وأثره على الدين .

منذ عهد غير بعيد سألت كاتبا ذا قدرة ذهنية ممتازة عما اذا كان قد قام

(١) « جيته » ١٧٤٩ - ١٨٣٢ أعظم الشعراء والكتاب الالمان طرا - مؤلف « أحزان فرتر » و « فاوست » وغيرهما .

بدراسة الاناجيل منذ طفولته . فكان رده انه قد حاول ذلك مؤخرا ولكنه (وجدها كلها هذرا فى هذر الى حد انه لم يستطع المضى فيها) .

ولما كنت لا أريد أن أكل الى احد قراءة الاناجيل ويخرج بهذه النتيجة . فيحسن بى أن اقدم هنا فى عرض موجز القدر الذى نحتاجه من تاريخ الدين لكى نجعل الاناجيل وسلوك يسوع وقدره الذى انتهى اليه . يسيرة الفهم جمة الفائدة .

دنيــــوية اغلبية البشر

الغلطة الأولى الشائعة بين الناس التى ينبغى القضاء عليها هى القول بان العالم الانسانى ينقسم الى كتلة ضخمة من المتدينين وقلة ضئيلة من المنحرفين الملحدين .

انها تنقسم الى كتلة ضخمة من الدنيويين وقلة ضئيلة من الاشخاص الذين يحفلون بالدين حفلا شديدا ويهتمون بأمر ارواحهم وارواح غيرهم من الناس . وهذه القلة تنقسم بدورها الى اغلبية تؤيد الدين القائم تأييدا حماسيا واقلية تهاجمه هجوما حماسيا . اما الفلاسفة الحقيقيون فعلا فهم نادرون .

وعلى ذلك فلا يمكن ابدا أن تجد أمة ما تحتوى ملايين من جهابذة الدين (امثال وزلى) (١) وفردا واحدا (مثل توم بين) (٢) .... كلا . بل انك

---

(١) « وزلى » ١٧٠٣ — ١٧٩١ من أكبــــر المصلحين الدينيين . مؤسس مذهب النظـــاميين الانجليــــكيين .

(٢) « توم بين » ١٧٣٧ — ١٨٠٩ كاتب انجليزى وناشر قدير تجنس اخيرا بالجنسية الفرنسية .

تجد مليون رجل دنيوى بحت (مثل مستر وايزمان الدنيوى) (١) وجهيذاً واحدا مثل « وزلى » يتوسط حفله الدينى القليل العدد وآخر مثل « توم بين » يتوسط حفله الدينى الأقل عددا .

أما المتدينون المتحمسون فهم قوم على حده . وهم لولا انهم يقلون كثيرا من حيث العدد عن الدنيويين . قلة ميئوسا من تعديلها . لكانوا قد قلبوا الدنيا كلها ظهرا لبطن كما سبق وأوخذ القديس (٢) بولص مؤاخذة حقه لكونه لم يفعل مثلهم .

ان قليلا من الناس هم الذين يستطيعون ان يجدوا بين معارفهم الشخصيين ملحداً واحدا أو بلموسياً واحدا . واذا لم يكن لدينا فى نفوسنا ميل خاص نحو الدين يدفعنا الى التنقيب عن الجمعيات الصغيرة التى يأوى اليها امثال هؤلاء الشواذ العباقرة . فاننا نقضى حياتنا كلها بين اناس ــ مهما كان المذهب الذى يعتنقونه . وأيان كانت المعابد التى يؤدون فيها صلاتهم ويرتدون من أجلها ملابس ايام الاحاد ــ ذوى ضمائر جد صلبة وذوى جوع وظمأ لا للبر والتقوى ولكن لشهى الطعام والمتاع وللمركز الاجتماعى وللرفيق الوسيم وللدعة واللذة والاحترام والأبهة وبالاختصار : للحب وللمال .

ولدى مثل هؤلاء الناس تستوى هذه الاخلاقيات او تلك بشرط ان يكونوا قد تعودوها وأن يقدروا على الأئتمار بأوامرها ونواهيها دون كبير عناء . وهم فى سبيل الاحتفاظ بتلك الاخلاقيات يقاتلون ويعاقبون ويضطهدون دون أى تردد .

---

(١) « ويزمان » ١٨٠٢ ــ ١٩٦٥ كاردينال انجليزى شهير . مؤلف كتاب « فابيولا » .

(٢) القديس بولس : ولد بطرسوس من أعمال تركيا . أول منشىء النظم الكنسية . استشهد عام ٦٧ م .

قد لايكونون ملح الارض أولئك الدهماء . ولكنهم هم المادة التى تتكون منها المدنية وهم الذين يحافظون على المجتمع الانسانى من المجرمين ومن الغزاة وكذلك من امثال «سافونا رولا» (١) — ولما كانوا يفطنون الى ان قليلا من الدين ينفع الاطفال ويخدم الاخلاق وفى الوقت ذاته يبقى الفقراء على حالهم من الرغبة والرهبة بالوعد بالفردوس او بالوعيد بالنار . فانهم يشجعون المتدينين حتى ذلك الحد فحسب . مثال ذلك انه اذا اكتفى «سافونا رولا» ينصح نساء فلورنسا على خلع حليهن وزينتهن والتضحية بها لله ووقف عند هذا الحد فهم يرفعونه الى مرتبة القديس ويقلدونه قبعة الكاردينالية . أما اذا هو حضهن حضا دائبا لدرجة ان قمن بخلع حليهن وزينتهن فعلا . فانهم حينئذ يحرقونه حرقا على اعتبار أنه شر عام ينبغى التخلص منه .

دين الاقليـة : الخـلاص

الديانة التى تعتنقها كل أقلية متدينة ويسمح لها بالمضى فى اعتناقها ماهى فى حقيقة جوهرها الا نفس الديانة . وهذا هو السبب فى ان تغيير الاسم والشكل لم يحدث الا اختلافا يسيرا جدا .

ولعل هذا هو السبب ايضا فى ان بلدا متحضرا كانجلترا امكنه أن يحول البرابرة الى دينه فى سهولة ويسر . بينما هو لم يستطع ان يحول المسلمين او اليهود .

---

(١) سافونارولا : سبقت الاشارة اليه فى صحيفة رقم «٣٨» .

ان الزنجى يجد فى نظرية الخلاص المتمدينة منعطفاً جديدا شديد الجاذبية عن معتقداته الفجة ولكن لا المسلم ولا اليهودى واجد فيها ميزة ما على دينه هو .

ان الصليبيين قد دهشوا كثيرا عندما اكتشفوا ان المسلمين كانوا على قدر من الدين ومن الاخلاق مساو لهم تمام المساواة . وأنهم اكثر منهم مدنية . وليسوا أقل .

ثم ان المسيحى اللاتينى ليس لديه شيء يعطيه للمسيحى الاغريقى فوق ماسبق للمسيحية الاغريقية ان اعطته اياه .

ان المتدينين كافة هم فى صميم جذورهم قوم (خلاصيون) اى يعتقدون فى « الخلاص » فلنرجع اذن الى دين الخلاص هذا نقتفى أثره من منشئه .

إن هناك أشياء عديدة تحدث دائماً للانسان دون أن يكون قد خطط لها ودون أن يرغب فيها كالموت والوباء والصواعق والقحط والفيضان وشروق الشمس وغروبها والنمو والحصاد والفناء واعجوبتى الفيلسوف (كانت) (١) عن السماء الملأى بالنجوم من فوقنا . وعن القانون الأخلاقى المودع فينا . واستنتاجنا بأن صانعاً ما لابد أن يكون قد قام بصنع كل ذلك . أو أن شخصية ما تقوم بفعل الخير وأخرى تقوم بفعل الشر أو أن هناك جيوشاً من كائنات غير منظورة اما خيرة وإما شريرة هى التى تفعل هذا كله ... ولذلك فأنت تفرض وجود الآلهة والشياطين والملائكة والجن . وتتودد إلى تلك القوى بالهدايا التى تدعوها (ضحايا) وبالتملق الذى تدعوه « مديحا » .

(١) « كانت » ١٧٢٤ – ١٨٠٤ فيلسوف ألمانى عظيم . أثر على القرنين ١٨ و ١٩ . مؤلف « نقد العقل البحت » و « نقد العقل العلمى » و « نقد الحكم »

ثم يأتى قانون « كانت » الأخلاقى المودع فى نفسك ليجعلك تتصور (الله) كقاضٍ لك . فتسرع رأسا إليه تحاول رشوه بالهدايا وبالمداهنه ! .

إن هذا ليبدو لنا الآن أمراً مفزعاً .

بيد أن انكارنا له إنما هو نتيجة تطور جد حديث .

فإلى تاريخ يقرب من عصر شاكسبير كان يرى أمراً طبيعياً جداً أن يقدم المتقاضون الهدايا لقضاتهم من الناس .

وإلى هذا التاريخ لا يزال الناس يحاولون اتقاء غضب الله أو شراء رضاه بدفعات من المال تسلم عيناً للقسس أو بواسطة اشتراكات للاحسان أو لتشييد الكنائس أو ما شاكل ذلك تدفع للجمعيات التى أصبحت تخجل من الوضع الأول .

على أن المساوىء الفعلية لهذه الطريقة هى أنها فى الوقت الذى تجعل الأمور ميسورة كل اليسر للأغنياء فإنها تقطع السبيل بين الفقراء وبين رحمة الله .

وهذا هو ما دعا إلى تعجيل النقد الأخلاقى لدى الفقراء جعل القانون الأخلاقى المودع فى أنفسهم يثور على فكرة شراء الله بالذهب وبالهدايا بينما هم فى نفس الوقت على استعداد لترضيته بترديد آيات المديح والاعتراف بالخطايا والندم على ارتكابها ...

مما تقدم نجد أنه فى الوقت الذى تبقى فيه الديانة قائمة دون تغيير قروناً عدة فى المجتمعات البدائية حيث مستوى الحياة لا فرق فيه بين غنى وفقير . وحيث عملية شراء غفران القوى التى ما وراء الطبيعة فى مقدور أصغر صغير كما هى فى مقدور رأس القبيلة. تماماً . فإنه ما أن تظهر المدنية التجارية ومن ورائها الرأسمالية التى تقسم الناس إلى قلة مليئة .. وكثرة فى فقر مدقع .. حتى تبدأ

خطى الاصلاح الدينى تنتشرين بين الآخرين وهى بطبيعة الحال خطى نحو الحصول على الخلاص بأرخص الأثمان أو بالمجان .

ولكى نفهم ماذا يعنى الفقراء بكلمة شراء الغفران يجب علينا أن نبحث للحظة واحدة ماذا يعنون بكلمة (العدالة)

الفرق بين التكفير والقصاص

الفكرة البدائية عن العدالة هى أن أحد شقيها انتقام مشروع . والشق الآخر تكفير بالتضحية .

وهى تعمل عملها فى كلا الجانبين طبقاً للرأى الذى يقول بأن (أسودين ينتجان أبيضاً) . وأنه إذا اقترف ظلم ما فينبغي أن يتحمل مقترفه قدراً من العذاب مساوياً له .

ويتراءى للأغلبية غير المثقفة أن السير على هذا المنوال أى أن توقيع الجزاء على المعتدى له أثر رادع لغيره ممن هم على وشك ارتكاب الاعتداء . ولكن لحظة واحدة من التفكير تثبت لنا أن هذا التطبيق المراد منه مصلحة الأغلبية العظمى مفسد للعملية كلها .

فمثلا إن سفك الدم البرىء لا يمكن أن يقاس بسفك الدم المجرم . وأن التضحية بمجرم ارضاء لله . نظير قتله عبداً من عباده الأتقياء شبيه بتضحية شاة جرباء أو ثور مع طاعون المواشى .

إن ذلك يستنزل غضب السماء بدلا من أن يستدر رضاها . لأننا بعملنا هذا إنما نقدم لله بمثابة تضحية منا اشباعنا لانتقامنا والحماية لأنفسنا دون أن نتكلف نحن شيئاً البتة . مع أن التكلفة هى جوهر التضحية والتكفير .

على أنه مهما بلغ نجاح الأغلبية غير المثقفة فى الخلط بين هذه الأشياء عملياً فهم فى نظر المؤمنين بالخلاص مكشوفون ألى درجة التناقض .

لقد جاء فى قصة ديكنز (١) المشهورة على لسان ابنة عم البارون قولها — عندما حيرها اخفاق الشرطة فى اكتشاف قاتل محامى البارون — « الأفضل كثيراً هو أن نشنق رجلا ما ولو بطريق الغلط عن أن لانشنق أحداً البتة . »

إنها لم تكن بقولها هذا تعبر عن احساس جماعى فحسب بل كانت فوق ذلك تتهافت على حافة الفكرة الأشد ندرة بين المؤمنين بالخلاص والتى مؤداها (أن الأفضل فعلا هو شنق الرجل الخطأ !) أى أنه فى واقع الأمر « الرجل الخطأ هو الرجل الحقيق بالشنق » .

إن هذه النقطة جوهرية جداً وإلى أن نتفهمها تماماً فليس فقط سيظل تاريخ المسيحية غير مفهوم لدينا بل ان الذين هم أيضاً لا يعبأون مثقال خردلة بذلك التاريخ سوف يقعون فى تصور خاطىء هو أنه فى حالة طرح الانتقام جانباً ومعاملة القتلة على الأساس الذى عامل به الله « قابيل » — أى أن نعفيهم من القصاص ونضع عليهم سمة عدم استحقاقهم لأن نتقبل منهم أية تضحية مع تركهم ليواجهوا العالم — كما يحلو لهم — وهم حاملون لتلك الوصمة الواصمة — فإننا نكون بذلك قد تخلصنا كلية من كلا القصاص والتضحية معاً —

بيد أنه لا يمكن أن يستتبع ذلك بطريقة عكسية . أن الشعور بحتمية التكفير عن القتل يمكن أن يؤدى إلى تعريض رجل برىء — وأنه كلما ازداد براءة كلما كان ذلك أفضل — لموت قاس شنيع . وبهذا يمكن موازنة الحساب مع العدالة الألهية .

---

(١) « شارلز ديكنز » ١٨١٢ — ١٨٧٠ أشهر قصصى انجليزى فى القرن التاسع عشر كله .

الخلاص كان فى أول الأمر ميزة طبقية : العلاج

ــ وعلى هذا فإنه حتى بعد أن قرر الفقراء أن طريقة شراء (الخلاص) بواسطة تقديم الشياه والمعيز واعطاء الذهب للمذبح طريقة خاطئة لأنهم لا يقدرون على القيام بها . فإننا لم نزل عاجزين عن الشعور بأننا (تخلصنا) فعلا إلا بواسطة تضحية وضحية معاً .

ولقد حاولنا عبثاً أن نتبدل من ذلك طقوساً صوفية لا تكلف شيئاً مثل الختان أو بدلا عن الختان التعميد .

ولكن حاسة العدالة عندنا ظلت تطالب بتكفير ــ بتضحية ــ بمتألم يتحمل عنا خطايانا غير أن هذا الأمر ترك الفقير فى مشكلته القديمة . لأنه كان مستحيلا عليه أن يحصل على الشياة والمعيز والنقود كما كان أشد استحالة عليه أن يجد جاراً يقبل راضياً أن يتعذب بدلا منه من أجل خطاياه .

جاراً على استعداد لأن يناديه قائلا له فى سرور (أنك قد اقترفت جريمة قتل . ولكن لا تبال بشىء فإنى مستعد أن أشنق مكانك) .

وهنا يجب على خيالنا أن يسرع لنجدتنا . فلماذا بدلا من أن يتملكنا اليأس فى البحث عن تكفير خاص بمعرفة مخلص خاص لكل خطيئة خاصة لماذا لا يكون هناك تكفير واحد عظيم ومخلص واحد عظيم لكى يقوم بما ينبغى لجميع خطايانا مجتمعة مرة واحدة .

لا شىء أسهل من ذلك . ولا شىء أرخص من ذلك .. فالنير ميسور والعبء خفيف ! كل الذى عليك متى وجد ذلك المخلص (أو اخترعه لك محض الخيال) هو أن تثق فى صحة الصفقة فتتخلص وتنجو !

هاهى الشياة والمعيز قد حقنت دماؤها . وهاهى المذابح التى تطالب بهدايا ثمينة وبتضحيات متجددة قد هدمت من أساسها .

وها هى الكنيسة . كنيسة المخلص الأوحد . والتكفير الأوحد تقوم على أطلال المعابد العتيقة وتصبح كنيسة واحدة هى كنيسة « المسيح » .

التكفير بأثر رجعى وانتظار المخلص

بيد أن هذا كله لم يكن ليحدث دفعة واحدة . فما بين ديانة الأغنياء القديمة التى تكلف كثيراً وبين ديانة الفقراء الجديدة التى لاتكلف شيئاً مرت فترة كان (المخلص) فى غضونها يداعب الخيال الإنسانى ولكنه لم يكن قد وجد بعد .

لقد انتظر وترقب تحت أسماء شتى كالمسيح ومسياح اليهودى (١) وبالدور الجميل (٢) وغير ذلك ولكنه لم يأت . والخطاه لم يفقدوا الأمل قط . حقيقة هم لا يستطيعون أن يقولوا كما نقول نحن الآن . (جاء المسيح وخلصنا) ولكنهم يستطيعون أن يقولوا (سيأتى المسيح وسيخلصنا) وهذه الجملة وإن كانت تعنى أن التكفير سيكون بأثر رجعى إلا أنها لا تزال تحمل نفس القوة ونفس العزاء .

هنالك فترات فى التاريخ تغلى الأمم فيها إلى حد الفوران فى انتظار المخلص ويتغنى الشعراء مرددين بأعلى أصواتهم التنبؤات بمقدمه .

وإذا أردنا أن نتحسس ذلك الجو . فما علينا إلا أن نرجع إلى الكتاب المقدس ونقرأ ماكتبه (أشعيا) فى نهاية فترة من تلك الفترات و (لوقا) و (حنا) فى فترة غيرها .

---

(١) « مسياح » هو الاسم الذى كان اليهود يطلقونه على المسيح المنتظر.

(٢) « بالدور الجميل » اسم ضمن الاسماء التى كان اليهود يطلقونها على المسيح المنتظر .

تكملة الخطة بمعرفة ((لوثر (١))) و كالفين (٢)))

ها نحن قد رأينا الآن الديانة المسيحية في تطورها العجيب ـ الذى يسهل فهمه جداً في نفس الوقت ـ ابتداء من المحاولات الفجه التى كان يقوم بها البدائيون لاسترضاء قوى الطبيعة المدمرة لغاية علم اللاهوت الدقيق الذى له طقوس تضحية غالية التكاليف لا يستطيعها إلا الأغنياء فقط باعتبارها لوناً من ألوان الترف ـ وأخيراً إلى أن جاء مذهباً (لوثر) (وكالفن)

ويجب أن نشير هنا إلى أن المحاولات الأولى كانت تنطوى على تضحيات حقيقية جداً .

وهى لم تكن دائماً تحدث بالنيابة أو بالوكالة ولا هى كذلك إلى الآن .

فى الهند يدفع الرهبان بثمن جلودهم هم ذاتهم ويعذبون أنفسهم أبشع التعذيب لكى يصلوا إلى درجة القداسة .

وفى الغرب أثار القديسون دهشة العالم بتجلدهم وبتحملهم للجلد بالسياط وباعترافاتهم وبطول سهرهم .

ولكن لوثر أنقذنا من هذا كله . .

لقد جاءت اصلاحاته نصراً للخيال ، ونصراً للرخص فى آن واحد .

إنها أتت إليك بالخلاص التام ولم تتقاض منك شيئاً إطلاقاً سوى الإيمان .

إن لوثر نفسه لم يكن يعرف أنه كان يسير بأعماله على الدرب العلمى

---

(١) « لوثر » ١٤٨٣ ـ ١٥٤٦ . المصلح الدينى الالمانى الكبير الذى انشأ المذهب البروتستانتى .

(٢) « كالفن » ١٥٠٩ ـ ١٥٦٤ مصلح دينى كبير . الف ٥٣ مجلدا . وانشأ مذهبا معدلا لمذهب لوثر .

ا لاجتماعی الذی نعرفه نحن الآن . ولكن فطرته كانت أهدى له من معرفته . لأن فطرته ــ لا بحثه اللاهوتی ــ هی التی دعته إلی الاعتصام بكل قوته بمبدأ التبرير بالإيمان (١) ذلك المبدأ الذی كان بمثابة الورقة الرابحة التی قهر بها البابا. وتم له بها النصر .

هذا ويمكن القول أيضاً بأنه هو الذی ألغی صك الغفران (٢) ووثيقة الدخول فی الفردوس .

إن بولس سبق أن دافع عن وجوب هذا الالغاء . ولكن (لوثر) (وكالفن) هما اللذان نفذاه فعلا .

جــــون بارليكون (٤)

لاتزال هناك صفحة فی تاريخ الدين المسيحی ينبغی أن تدرس وان تهضم قبل أن يمكن فهم سلوك (يسوع) فهما تاماً .

أولئك الذين بهم جلد علی قراءة المجلدات الضخمة يجدون تلك الصفحة فی كتاب (الغصن الذهبی) لمؤلفه فريزر (٣) أما الناس الأقل جلداً فيجدونها فی الأغنية الريفية التی ألفها جون باريكورن (٤) والتی أصبحت فی متناول يد الهواة ضمن مجموعة الأغنيات الشعبية التی جمعها مستر سيسل شارب (٤)

---

(١) «التبرير بالايمان» الاعتقاد القائل بأن الايمان وحده بصرف النظر من الافعــــال هو المبرىء من الخطيئة .

(٢) «صك الغفــران» هو صك كان يعطيه البابا لغفــران الخطـــايا ودخـــــول الجنــة .

(٣) «فريزر» ١٨٥٤ ــ ١٩١٤ عالم بريطانی فی علم تكوين الانســـان . مؤلف كتاب «الغصن الذهبی»

(٤) «باريـــكورن وشـــارب» مؤلفا أغان دينية شعبية انجليزية .

من مؤلف « فريزر » النفيس المشار إليه يمكنك أن تدرك أن المنطق البدائى الذى يقنع الرجل الانجليزى فى عصرنا هذا بأنه إذا أكثر من أكل لحم البقر فإنه سيظفر بقوة كقوة الثور وشجاعته كشجاعة . والذى يجعله يتشبث بهذا الاقتناع رغم الهزائم الفظيعة التى أنزلها النباتيون ، بآكله اللحم — سواء فى ميدان المصارعة أو السباق أو الدراجات — هذا المنطق نفسه هو الذى حدا بالرجال الأوائل الذين تصوروا أن الله قادر على التجسد . الى الاعتقاد بأنهم يستطيعون بواسطة أكل لحمه وشرب دمه الظفر بشعلة من ألوهيته.

ومن أغنية بارليكورن ستدرك كيف أن معجزة الحب والنمو والحصاد التى هى أدهش المعجزات جميعاً والتى لم نهتد إلى سرها حتى الآن — قد علمت الرجل البدائى — ويجب علينا أن نسلم هنا بأنها علمته حقاً وصدقاً — أن الله فى ذلك الحب نفسه . وأنه أبدى سر مدى معاً .

ومن هنا جاءت فكرة رب الأرباب الذى لا يمكنك بحال من الأحوال أن تبيد منه شيئاً . والذى ان أنت دفنت فى الأرض بعضاً منه . نما مرة ثانية فى ثوب قشيب وفى حسن فاتن لكى يهب البشرية الخلد فى هذه الحياة بشرط واحد هو أن يكون قد أكل وشرب ثم أعيد ذبحه ودفنه . ثم هو مرة ثانية ينمو وينمو وهكذا إلى أبد الآبدين .

لعمرى أنك لن يسعك هنا إلا أن تردد — بل ينبغى عليك — كلمات جون بارليكورن نفسه (أصبت يا رجل) تقطع بمنجلك (عند الركبة تماماً) وتضرب بمدراسك وأخيراً تدفن وتهيل فوقه التراب . ولن تجد منه مقاومة ما ولا حتى مجرد مؤاخذة . بل ستجد عندئذ أنه قد قام مرة ثانية فى جمال ذهبى أخاذ تحت أشعة الشمس المشرقة وتغريد الطيور المرحة قام لكى يخلصك ويجدد لك الحياة) .

ومن هذا النسيج البارع الذى يجمع بين هاتين الفكرتين . مضافاً اليه الاشتهاء لوجود مخلص . نصل أخيراً إلى الاقتناع بأنه عندما يأتى ذلك المخلص الموعود سيكون دائماً أبدياً وسوف يعطينا جسمه لنطعم منه ودمه لنسقى منه . وسوف يبرهن على ألوهيته لتحمله ميتة بربرية . دون أية مقاومة ودون أية مؤاخذة . وسوف يقوم من بين الموتى ويعود إلى الأرض فى المجد واهباً الحياة الأبدية الدائمة !

توقـــع نهـــاية العـــالم

بيد أنه يوجد معتقد آخر لا ينفك يلازم خيال الرجل المتدين منذ أن انتشر الدين بين الفقراء أو بالأحرى منذ أن خلقت المدنية التجارية طبقة معدمة اعداماً ميئوساً منه ومحرومة من التمتع بهذه الحياة .

وذلك المعتقد هو أن العالم على شفى النهاية . وأن الحياة الدنيا تمر سريعاً وتعقبها مملكة كلها سعادة وعدالة ونعيم ولن يكون للأغنياء ولا للجائرين ولا للظلمه فيها أى نصيب !

نحن كلنا قد ألفنا هذا التوقع للآتى القريب .

وكثير منا من تلطف وامّن قريباً له شديد التقوى يرى فى كل مصيبة تقع علامة من علامات الآخرة .

والنشرات التى تفيض بالنذر لا تنقطع عن الظهور ، والإعلانات تملأ الصحف يدفع أجرها المؤمنون بتلك المعتقدات الذين يهولهم عدم الاكتراث الذى يبديه غير المتدينين نحو قرب آخرتهم .

والمبشرون المحدثون المجددون ــ مثلهم اليوم كمثل زملائهم فى عهد يوحنا

المعمدان لا ينقطعون عن تحذير تابعيهم بوجوب التقرب والصلاة أذ أن اليوم العصيب سيختلس الخطى نحوهم كاللص فى الليل البهيم . وأنه لا يمكن أن يتأخر قدومه طويلا . بينما الدنيا على هذا القدر من الشر والفساد !

هذا المعتقد يتفق أيضاً مع رأى باراليكورن بشأن الدار الآخرة . وعلى ذلك فنحن نجد أن كلا الحادثين قد توافقا وأصبحا فى النهاية شيئاً واحداً .

ثم أن هناك وجهاً آخر لهذا المعتقد ، وهو الوجه المصطنع الذى يجعل منه هولا رهيباً .

إن الحاكم الذى يلجأ إلى الوعد بالجنة لكى يعزى الفقراء ويحول بينهم وبين العصيان لا يتورع عن كبح جماح الأشرار بواسطة تهديدهم بالنار .

إذا رجعنا إلى القرآن وجدنا أن محمداً (صلعم) قد اندفع أكثر وأكثر إلى الانتفاع بهذه الوسيلة فى الحكم ، وأن التجارب لتؤيد اعتقاده الجازم بأنه من المستحيل أن تساس الدولة بدونها فى بعض أطوار المدنية .

وسنرى فيما يلى كيف أنها تخلق جاذبية شديدة للايمان بمخلص وذلك لأنها تضيف إلى تأنيب الضمير — الذى تكاد تخلو منه قلوب القساة — رعباً واضح المعالم من التردى فى عذاب أليم إلى أبد الآبدين .

شرف الأبوة الالهيـة

يجب التنويه هنا كذلك بتقليد آخر :

إن أسمى ما يصل إليه المديح لملك من الملوك هو أن يعلن عنه أنه لا ينتسب إلى أب أرضى بل أنه ابن الله .

تذهب أمه إلى معبد اله الشمس حيث يأتيها اله الشمس في شكل ثعبان أو غير ذلك من الأشكال .

فأباطرة الرومان نسجوا على منوال « أوغسطس » وادعوا الألوهية .

بيد أن أولئك الملوك الآلهين كانوا يضربون بالمنطق عرض الحائط حين يتمسكون فى الوقت نفسه بانتسابهم إلى آبائهم الحقيقيين .

فإن اسكندر المقدونى – مثلا – مع تمسكه بأنه ابن اله الشمس (أبوالو) فأنه كان متمسكاً فى نفس الوقت بأنه ابن فيليب المقدونى .

وكذلك الأناجيل فإن كلا من القديس (متّى) والقديس (لوقا) « قد نسج حبلا من النسل (مختلفين عن بعضهما) يثبت مجىء « يسوع » عن طريق يوسف من سلالة أسرة الملك داود . ومع ذلك فهما يقرران أنه ليس يوسف ولكن الروح القدس هو أبو « يسوع » .

لهذا السبب سرى الاعتقاد الآن بأن قصة الروح القدس إن هى إلا قصة طفيلية استعيرت أخيراً من بين تقاليد اليونان والرومان الملكية .

بيد أن التجربة دلت على أنه قد أمكن فى وقت واحد الإيمان بتواصل النسل حتّى الملك داود وبالحمل من الروح القدس .

ومثل هذه المعتقدات المزدوجة يتقبلها العقل الإنسانى دون تردد ودون شعور بما تنطوى عليه من تناقض واذكر على سبيل المثال حادثة مألوفة لعصرنا هذا هى حادثة المطالبة بلقب بارونيه (تيتشبورن) التى أيدت المدعى فيها جمعية من العمال على أساس أن أسرة (تيتشبورن) لم تقف موقف المعارضة فى القضية إلا لكى تحرم أحد العمال من حقوقه .

وأنه لجائز جداً أن يكون كل من القديسين « متى » و « لوقا » غير واع للتناقض الذى أشرنا إليه كما أنه لاشك فى أن استعارة القصص الطفيلية لايزيل الصعوبة القائمة . إذ لا جدال فى أن المستعيرين لها لم يكونوا على وعى بالتناقض.

وفوق هذا فإن هناك سبباً أقوى للتشكك فى تلك الاستعارة . وهو أن القديس بولص لم يكن يعلم شيئاً عن (الميلاد الالهى) ولذلك قرر بأن يسوع جاء إلى الدنيا عند مولده كابن ليوسف ولكنه قام من الأموات بعد ثلاثة أيام كابن لله .

وهنا أيضاً لم يتنبه لنقطة الخلاف إلا القليلون . ولقد قبلت التقارير الثلاثة فى وقت واحد دون أية بلبلة فكرية ! !

فى الحق أننا لا نستطيع أن نستطيب الاستماع لعدة أقاصيص متناقضة عن حادث واحد إلا إذا نحن شعرنا إما بأن الموضوع كله ليس له أهمية كبيرة أو بأن هناك طبقات من الناس يمكن أن تتوافق عندهم المتناقضات .

بيد أن هذه ليست هى نقطة البحث الحاضرة .

إن كل الذى نحن فى حاجة إلى تذكره هنا . هو أن خرافة الميلاد الالهى كان لابد أن تنسب إن عاجلا أو آجلا للشخصيات العظيمة جداً فى أزمنة الامبراطورية الرومانية. وإن اللاهوتين المحدثين بدلا من أن ينكروها ويدحضوها قد أيدوا تأييدا جد منطقى ذلك الميلاد الاعجازى لا ليسوع وحده ولكن لأمه معه .

بغير ما ثقافة علمية تتعدى الاحاطة بطبيعة الخيال الانسانى — يمكن لأى واحد الآن أن يقرأ الأناجيل الأربعة دون ما تحير . ودون ذلك الانكار المحتقر الذى يؤذى مزاج الكثيرين من الملاحدة المحدثين . ودون ذلك التصديق الأبله الذى تضطرنا معه طائفة من الأتقياء أحياناً إلى أن نلقى بهم جانباً فى

بعض حالات الضرورة كمجانين غير صالحين لأى عمل . وذلك عندما يطلبون إلينا أن نقابل العنف والظلم بالخضوع الصامت المطلق لمجرد الاعتقاد بأن سلوك يسوع تجاه بيلاطس يراد به أن يبقى مثالا للسلوك البشرى المستقيم.

فلنسلم إذن بأن الأناجيل كلها هى — دون الاستعانة بالحواشي والتفاسير — فى نظر الشخص المتعلم المتحضر خرافيه غير محتملة التصديق . وأن أقوال الرسل كلها غير جديرة بالقراءة ، ولكنها بمعونة تلك الحواشى والتفاسير تعتبر سهلة ميسورة الفهم .

وكذلك يصبح يسوع شخصاً منطقياً معقولا معاً كما تصبح — الأسباب — التى دعته إلى أن يسير إلى الذبح كالحمل الوديع بدلا من أن يتشبه بمحمد (صلعم) فى مناجزته لاعدائه وأعداء الإسلام — تصبح والحالة هذه بينة الوضوح ... وعلى هذا تصبح الأسطورة كلها قابلة للتصديق شأنها شأن كل اسطورة تاريخية لتلك الفترة .

***

ثم أتبع برنارد شو هذه المقالات بعدة فصول عكف فيها على تحليل الأناجيل الأربعة (انجيل متى وأنجيل مرقص وأنجيل لوقا وانجيل حنا) تحليلا تفصيلياً أمسك فيه بتلابيبها واحداً بعد واحد ساخراً منها . ثائراً هناك . مفنداً لهذا . سابأ لذاك . مستخدماً فى أسلوبه من التعبيرات الجافة القاذعه ما تغرى بالكف عن المضى فى قراءتها ، بل ترجمتها خصوصاً وان ما بها من التفاصيل لايهم القارىء الكريم فى شىء ولهذا فقد ضربنا صفحاً عن تعقبه فى دروبه تلك وانتقينا بعدئذ من مقدمته ما فيه نفع وليس فيه ايلام .

اعادة توزيع الثـــروة

والآن لم يعد الأمر فى حاجة إلى المسيح لكى نقنع أى فرد منا اليوم بأن طريقة توزيع الثروة لدينا خاطئة خطأ فاحشاً ظالماً .

فثم ولدان يولدون يملك كل واحد منهم مليون دولار بينما إلى جانبهم مساكين أنهكهم العمل الشاق المضنى الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع .

وبين كل خمسة أشخاص واحد يقضى نحبه وهو ملقى إما فى اصلاحية أو مصحة أو مستشفى للمجانين .

وفى مدينة كبيرة مثل لندن ترتفع النسبة إلى النصف بدل الخمس .

فمن الطبيعى أن جوراً كهذا الجور فى توزيع الثروة لا يمكن الابقاء عليه إلا بالعنف الناصع القاطع .

فإذا أنت اعترضت فسيكون جزاؤك الالقاء بك فى عرض الشارع .

فإذا أنت قاومت هذا الالقاء فى عرض الشارع فلن يقل جزاؤك عن الضرب بالعصا والرمى بك فى غيابة السجن . واعلم أن هذه العقوبات هى التى يكنى عنها بجملة طريفه هى (المحافظة على القانون والنظام)

إن الظلم لا يمكن أن يتجاوز هذا الحد .

وأن أحداً يلم إلماماً كافياً بحقيقة أرقام توزيع الثروة بين الناس فى الوقت الحاضر لا يمكن بأى حال من الأحوال أن يقر هذا التوزيع .

وأن الانجليزى المحافظ الأشد تعصباً من كل من عداه ليتردد قبل أن يقول أن ملك بريطانيا افقر بكثير من « مستر روكفلر » أو قبل أن يقر بالسمو الأخلاقى لمهنة البغاء على مهنة الخياطة لأن الأولى أدر كسباً من الثانية .

إن الحاجة القصوى لاتخاذ اجراءات حاسمة لاعادة توزيع الثروات بين الناس فى جميع الدول المتمدينة قد أصبحت تضارع فى بداهتها الحاجة إلى نشر الاحتياطات الصحية نفسها .

هل الذى يصـــنع يملك ؟

بيد أن جدلا ما لن يثار إلا عندما نأتى إلى مسألة النسب التى ينبغى أن يعاد توزيع الثروة بين الناس على أساسها .

هنالك فكرة خرافية غير عملية تشوش عقولنا مؤداها أن دخل الإنسان يجب أن يعطى له لا لكى يعينه على العيش ولكن كضرب من الجوائز التى تعطى لتلاميذ مدارس الأحد مكافأة لهم على حسن سلوكهم .

وهذه الفكرة الخرافية يزيدها تشويشاً وتعقيداً فكرة أخرى قد تقل عنها خرافة ولكنها تتساوى معها فى كونها غير عملية اطلاقاً . ومؤداها أنه من الممكن أن نحدد لكل شخص بالقسطاس المستقيم القدر من الدخل القومى الذى قام كل بانتاجه تماماً . ذكراً كان أم أنثى .

لا يمكن إلا لعقل طفل صغير أن يتصور أن الحداد إذا قام بصنع حدوة حصان فإن تلك الحدوة تكون ملكاً له . ولكن الحداد نفسه يعرف جيداً أن الحدوة ليست ملكاً له وإنما يشاركه فيها صاحب الدكان ومحصل البلدية ومأمور الضرائب والناس اللذين اشترى منهم الحديد والسندان والفحم .. الخ وأنه لن يتبقى له أخيراً من قيمتها إلا جزء ضئيل جداً . وهذا الجزء الضئيل عليه أن يقايض به الجزار والخباز والخياط على الأشياء التى يحتاجها فعلا للمأكل والملبس والتى يجب عليه أن يدفع عن كل منها مبلغاً يربو على قيمتها الحقيقية لأن كل واحد من زملائه التجار عنده صاحب بيته وعنده الشخص الذى يقرضه المال وهو ملزم بدوره أن يرضيهم جميعاً .

وإذا كان هذا هو الحال مع مثل بسيط من صنع فرد واحد فى قرية صغيرة وها هو قد انتهى به الأمر بعد بحث لحظة واحدة إلى كونه وثيق الصلة

بانتاج اجتماعى متشابك . فما الذى عساه يقال عن البوارج الحربية عابرة المحيطات وعن الدبابيس والأبر وعن سنون ريش الكتابة الحديديه التى هى من صنع الفابريقات الكبرى .

إذا فرضنا أن الله أمسك بارجة حربية فى إحدى يديه وسنا من سنون الكتابة فى اليد الأخرى ثم سأل النبى أيوب من الذى صنعها . ومن الذى يملكها بحق صنعها . إذن لاضطر أيوب إلى حك رأسه الحائر طويلا مع التزام الصمت . اللهم إلا إذا أسعفته فكرة أن الاله هو الصانع الأعظم وأن كل ما نملكه من حق فيما ننتج إنما هو أن نطعم به خرافه (١) .

وقت العمـــل

حق الصانع فيما يصنع لا سند له من تعاليم المسيح ..

أما فى الواقع فلم يكن هناك ما يمكن عمله سوى أن يعوض العامل حسب الوقت الذى صرفه فى العمل مقدراً بالساعة أو باليوم أو بالأسبوع أو بالعام : ولكن بكم ، وعلى أى أجر ؟

عندما أثير هذا السؤال كان الجواب الوحيد عليه هو : بالأجر الأدنى الذى هو مضطر لقبوله أو يموت جوعاً . وذلك كله مع الملابسات العجيبة التى سبقت الإشارة إليها ومع الشذوذ الأعجب الذى هو : (أن الجزء الأكبر من الأجر يحصل عليه قوم لم يعملوا شيئاً البتة والجزء الأدنى يحصل عليه من كدحوا أقسى كدح) .

فى انجلترا يذهب تسعة أعشار الثروة إلى جيوب عشر عدد السكان !

---

(١) يشير « شو » الى الآية الواردة فى انجيل يوحنا ونصها كالآتى : الراعى الصالح هو الذى يبذل نفسه عن خرافه ..

حلم التوزيع حسب الاستحقاق

وفى سبيل تلافى سوء التوزيع المشار إليه فى المقال السابق . يتساءل بعض متدينى مدرسة الأحد أصحاب النظريات (لماذا لا يتم التوزيع حسب الاستحقاق ؟) .

وهنا يمكن للإنسان أن يتخيل « يسوع » الذى أخذت ابتسامته تزداد اتساعاً على مر الأجيال كلما رأى محاولات الابتعاد عن تعاليمه ـ محاولة بعد أخرى – وهى تنتهى إلى مصائب تعقبها مصائب انكى منها وأشد . يمكن للإنسان أن يتخيله وهو يختم ابتسامته بضحكة مدويه .

فهل سمع أحد محاولة أسخف من محاولة تقويم الفضيلة بالنقود ؟

تصور مثلا كلية الاقتصاد فى لندن وهى تضع بين أسئلتها السؤال الآتى :

« إذا فرضنا أن القيمة النقدية لفضائل (يسوع) تساوى (١٠٠) وليهوذا ، الأسخريوطى تساوى (صفر) اذكر الأرقام الصحيحة التى تمثل فضائل كل من الأشخاص الآتية على التوالى : بيلاطس . الأرملة التى تضع قرشاً فى صندوق الأحسان . شاكسبير . اسحاق نيوتن . الموسيقى الإيطالى باليسترينا . طبيب عائلتك. غاسلة ملابسك . رئيس أساقفة كانتربرى . الموظف المنوط به شنق المجرمين ! . »

أو السؤال الآتى : –

المرحوم – المستر بارنى بارناتو (١) كان يتقاضى دخلا قانونياً يعادل ثلاثة

---

(١) بارنى بارناتو ١٨٥٢ – ١٨٩٧ أحد سكان جنوب افريقيا جمع ثروة طائلة بواسطة عمليات غير بريئة . ثم عاد الى انجلترا وانتحر .

* اشار « شو » هنا أيضا الى بعض شخصيات محلية كانت معروفة فى انجلترا اذ ذاك .

آلاف ضعف لما يتقاضاه العامل الزراعى الانجليزى الشريف . اذكر الفضائل الرئيسية التى تميز بها بارناتو ثلاثة آلاف ضعف على العامل . ووضح بالأرقام الخسارة التى خسرتها المدنية بسبب انتحار مستر بارناتو على أثر حزنه ويأسه من جراء خفض دخله من ثلاثة آلاف ضعف إلى ألف ضعف فقط .

وبعد هذه الأمثلة ألا ترى معى أن فكرة متديني مدرسة الأحد أصحاب النظريات المشار إليها فى أول هذا المقال وهى (أن يعطى لكل شخص الدخل الذى يستحقه) هى فى الحقيقة فكرة أسخف من أن تبحث ! .

منذ ثلاثمائة عام توصل « هاملت » إلى حل لهذه المسألة بأن قال : أعط كل إنسان ما يستحق ثم قل لى بعد ذلك منذ الذى سينجو من الجلد بالسياط ؟

أن يسوع مع ذلك سيظل صامداً مكانه كرجل عملى سليم . أما نحن فأننا مخرفون خاطئون سابحون وراء الخيال البعيد التحقيق .

وإذا أردت أن تحول نظرية متديني مدرسة الأحد إلى أرقام فستجد أنها تعود بك إلى الطريقة الميئسة طريقة الدفع على أساس الوقت .. وعلى هذا فستكون أسئلة الامتحان كالآتى :

« إن وقت يسوع كان لا يساوى شيئاً اطلاقاً (لأنه اشتكى من أن الثعالب لها أوجار والطيور لها عشاش أما هو فلا يجد مكاناً يضع فيه رأسه (١) . أما وقت الدكتور كربين فيساوى مثلا ثلاثمائة وخمسين جنيهاً فى العام . »

أنقد هذا النظام . وإذا رأيت أنه غير عادل فوضح بالأرقام : بالجنيهات وبالدولارات وبالفرنكات وبالماركات ما هو الأجر الذى كان يجب أن يعطى لكل منهما حسب وقت عمله .

---

(١) المؤلف الى الآية التى نصها كالاتى :ــ
للثعالب أوجره ولطيور السماء أوكار . وابن الانسان ليس له مكان يسند فيه رأسه .

أغلب الظن أن جوابك على هذا السؤال سينصب على كون السؤال نفسه يدل على فساد الذوق اطلاقاً » ولذلك فأنت ترفض الاجابة عليه!

بيد أنك لا تستطيع أن تصدف عمن يسألك هذا السؤال (كم دقيقة من وقت مؤلف كتاب . تعادل ساعتين من وقت عالم فلكي ! ؟)

التـــوزيع الحـــق

فى آخر الأمر سنضطر إلى العودة الى السؤال الذى كان ينبغي ان نسأله اولا وهو لماذا نحن نعطى الفرد دخلا ؟ والأجابة على ذلك هى : بداهة لكى يبقى على قيد الحياة .

لهذا . فبما أنه من الواضح ان أول شرط لبقاء الأنسان على قيد الحياة دون ان يستعبد انسانا غيره هو انه ينبغي عليه ان ينتج قدرا مساويا لما يبقيه حيا . اذن فلنا طبقا للعدالة المطلقة ان نرغمه على العمل واجتنابه الكسل بنفس الوسائل التى نرغمه بها على اجتناب القتل والحرق والأختلاس وأية جريمة اخرى .

ان الشيء الوحيد الذى يكشف عن جنون مطبق هو ان نترك ذلك الانسان دون أن نعمل معه شيئا .. اى ان نعامله بنفس التراخي والأهمال وعدم الأحساس الذى يعاملنا هو به .

اننا فى حالة ما نجد له عملا معينا - لا كما نحن متبعون الآن من حيث اقامة نظامنا الصناعى على موجات من ضغط العمل حينا والبطالة حينا آخر - ينبغى علينا ان نستنكر اشد الاستنكار عزوفه عن ذلك العمل واختياره للبطالة . لأن الأمر سينتهى بسقوطه فى وهدة الفقر هو واولاده ان كان له

اولاد . والفقراء هم سرطان المجتمع . وانهم ليتكلفون أكثر مما يتكلفون لو اسكنوا واطعموا مجانا كالمرضى الذين لا يرجى لهم شفاء .

ولقد كان يسوع من الذكاء بحيث أنه لم يقترح شيئا ما من هذا القبيل .

أنه قال لتلاميذه (اعملوا عملكم لأجل الحب . ودعوا الآخرين يسكنوكم ويطعموكم ويلبسوكم لأجل الحب (١) ومعنى ذلك بلغة هذا العصر (مجانا) .

لا ريب فى ان جميع التجارب الانسانية وجميع التطلعات الأدمية الطبيعية التى لم تغير التجارة من أدميتها تهفو الى هذا على أنه الصراط المستقيم . ولقد أثر عن الاغريق (قبل كل شيء اضمن لنفسك دخلا مستقلا وبعدئذ مارس الفضائل كما ينبغى) ذلك لأن الدخل المستقل هو الشيء الذى كلنا نتطلع اليه .

نحن جميعا نعلم — كما كان يعلم يسوع تماما — أننا لو كنا فى شغل شاغل بالغد وبمسألة ما اذا كنا سنجد فيه طعامنا او شرابنا أم لا نجدهما . فسيكون من المستحيل علينا أن نفكر فى أشياء اسمى من ذلك وأعلى بل لن نكون أفضل من دابة خبيثة ليس لها من هدف من أول الحياة الى اخرها — سوى السعى المجنون فى طلب العيش .

فالى ان ينظم المجتمع تنظيما يختفى فيه الخوف من الحاجة للطعام اختفاء

---

(١) لعل المؤلف يشير لهذه الآية : « واى بيت دخلتموه فقولوا اولا سلام لهذا البيت فان كان هناك ابن السلام يحل سلامكم عليه والا فيرجع اليكم . واقيموا فى ذلك البيت آكلين وشاربين مما عندهم لأن الفاعل مستحق أجرته « لوقا اصحاح ١٠ »

الخوف من وجود الذئاب فى العواصم المتمدينه . لاسبيل الى ان نحيا حياة اجتماعية طيبة ! .

الواقع ان كل ما فى نظمنا الحالية من جمال انما مرجعه الوحيد الى اعفاء قلة صغيرة من بيننا من ذلك الخوف . ولكن لما كان ذلك الأعفاء مطبقا بخبث وغباء اذ جعل تلك القلة الصغيرة المحاباة طفيلية على الباقين . فأنها قد منيت بالفساد (الذى هو العقوبة الطبيعية المنصبة على كل من يعيش فى طفيلية تامة على سواه) ولقد أضرت بها ثقافتها الفاسدة بدلا من ان تحسن اليها . وذلك لأن الفترات الطويلة جدا التى تقضيها فى الفراغ واللهو لا تقل ظلماً ولا إجراماً عن الفترات الطويلة جدا التى يقضيها العمال فى عملهم المرهق الشاق .

على كل حال ان المغزى واضح كل الوضوح . فالمشكلتان الرئيسيتان للمجتمع المنظم وهما كيف نضمن القوت لكافة اعضائه . وكيف نضمن عدم سرقة ذلك القوت بمعرفة الكسالى. يجب أن ينفصلا عن بعضهما كل الانفصال كما يجب أن نسلم بعجز كل منهما عجزا فعليا عن ان يتم الأخرى تلقائيا .

قد لا تكون لنا نفس القوة النفسية التى كان يتمتع بها « يسوع » والتى امكنه أن يرى بها — دون استعانة بالظواهر الاقتصادية الحديثة — ان كل حل لهاتين المشكلتين مآله الفشل المحتوم .

بيد أن الحقائق المادية التى امام اعيننا تثبت ذلك الفشل فعلا . ان الناس الوحيدين الذين يتعلقون بأهداب الوهم الكاذب فى امكان الوصول الى توزيع عادل ينفذ تلقائيا هم الذين يفرضون بضعة تغييرات ثورية مثل تأميم الأرض

مثلا . غير أن هذا التأميم نفسه يجر بداهة الى ظهور مسائل اخرى عاجلة مثل : كيف يتم توزيع غلة تلك الأرض بين جميع الناس فى المجتمع ؟

التـــوزيع بالمســـاواة بين النـــاس

عندما تواجه هذه المشكلة اخيرا . فأن مسألة النسبة التى يجب ان يوزع بها الدخل القومى لا يمكن لها الا جواب واحد . هو ان جميع انصبتنا ينبغى ان تكون متساوية . فى الواقع لقد كان يجب ان تكون دائما كذلك . ويجب ان تبقى دائما كذلك .

حقيقة ان دخول اللصوص تختلف اختلافا كبيرا من شخص لآخر . وهذا الاختلاف يجد له انعكاسا فى دخول الذين يعيشون طفيليين عليهم .

وأن التسعير التجارى لبعض ذوى الكفايات الفذة قد أضفى عليهم دخولا ، فذه اما بطريق مباشر أو غير مباشر .

والناس الذين يعيشون من ايجار اراضيهم أو من ربح رؤوس اموالهم هم اقتصاديا — وان لم يكونوا كذلك قانونا — لصوص ويتمتعون بدخول تختلف عن بعضها اختلافا غريبا مدهشا .

هذا . واما ما تبقى من الجموع البشرية فأن اختلاف الدخل بين افرادها أمر غير معروف لأنه غير عملى اطلاقا .

هذا ولكى نصل إلى حيلة نقنع بها النجار «مثلا» بأن القاضى مخلوق من طبيعة أسمى منه . فيرتضى ذلك ويخضع له حتى الموت . فأننا نعطى النجار مائة جنيه سنويا بينما نعطى القاضى خمسة آلاف . غير ان اجر النجار يظل هو اجر جميع النجارين ومرتب القاضى هو مرتب جميع القضاه !

القبطان والصبى الخادم

ليس ثم – مشكل اذن . بل ولا كان ثم مشكل قط . الا الأختلافات القائمة بين دخول الطبقات المتباينة .

توجد الآن فعلا مساواة اقتصادية بين القباطنة . كما توجد مساواة ، اقتصادية بين الصبية من خدم الغرف بيد أن الذى لا يزال موضع البحث هو هل ستكون هناك مساواة اقتصادية بين القباطنة وخدم الغرف معا؟

ترى ما الذى كان يقوله «يسوع» فى هذا ؟

أظن انه كان يقول : اذا لم يكن هدفك من اعداد قبطان وخادم الا أن ينقلاك من «ليفربول» الى «نيويورك» او لأجراء مناورة للأسطول وحمل الذخيرة من المخازن الى المدافع اذن فلا تعط اكثر من شلن واحد للخادم مقابل كل جنيه تعطيه للقبطان لان القبطان تكلف تمرينه اكثر جدا – اما اذا كنت ، فوق هذا ، ترغب فى تطوير النفسين الآدميتين – (اللتين لا يمكن فصلهما عن القبطان ولا الخادم . واللتين تفرقان بينهما وبين الآلة الصماء) حتى تستغلا كل امكانياتهما فانك ستجد ان الخادم اغلى من القبطان بكثير لان عمل الخادم لا يقوم باى نفع لنفسه كما يقوم القبطان .

وعلى ذلك فستجد ان عليك ان تعطى الخادم على الاقل نفس الاجر الذى تعطيه للقبطان الا اذا كنت مصمما على ان تجعله مخلوقا من درجة أدنى جدا . وفى هذه الحالة فانك تستحق الشنق بتهمة الاجهاض وكلما اسرعوا بشنقك كان ذلك خيرا .

تلك هى القضية الاساسية .

((الاعتراضات السياسية والبيولوجية على عدم المساواة))

بيد ان هناك اسبابا اخرى تدعو الى الاعتراض على اقامة طبقات من الدخول فوق بعضها وتلك الاسباب اخذت تتكاثر وتتكاثر من عهد « يسوع » الى الان .

فمن حيث السياسة نجد أن اقامة تلك الطبقات تسيء الى كل أنواع الحكومات الا حكومة الاقلية الفاسدة بالضرورة . فالحكومة الديمقراطية – التى تعد فرنسا والولايات المتحدة خير طرازين لها خداع وتضليل معا . وانها لتنزل بالعدالة وبالقانون الى درك المهازل . فالقانون اصبح مجرد اداة للابقاء على خضوع الفقراء – والعمال المتهمون يحاكمون لا بمعرفة محلفين من اقرانهم ولكن بواسطة مؤامرات مستغليهم . والصحافة هى صحافة الاغنياء ولعنة الفقراء . وحتى القراءة يصبح تعليم الناس اياها خطرا . والقسيس يمسى مكملا للشرطى فى ذلك الجهاز الذى بموجبه يظلم قصر الأقطاعى القرية بأسرها .

واسوأ من كل شيء ان يصبح حتى الزواج مسألة طبقية . فالآف المحاسن التى خلقتها الطبيعة لكى تغرى بها الشباب على تخير القرين المنشود تضيق وتضيق حتى تنحصر فى عدد اصابع اليد الواحدة ممن هم يماثلون فى الدخل !

وأما الجمال والصحة فيبيتان احلامااللفنانين واعلانات للدجالين فحسب بدلا من ان تكونا هما الحليتين الطبيعيتين فى الحياة .

الحق أن عدم المساواة فى الدخل بين الطبقات لم يؤد فقط الى تقسيم المجتمع بل انه تسبب فى افساده افسادا فعليا فى جميع الاتجاهات . اما التماسك

الذى نراه الان فان مرجعه الى تلك الكتل البشرية الضخمة التى تحتفظ فيما بينها بالتساوى .

((يســـوع كاقتصــادى))

يبدو اذن انه من الواجب علينا ان تبدأ بالتمسك بأن يكون حق كل شخص فى الدخل مقدسا ومتساويا . وذلك تماما كما سبق لنا ان بدأنا بالتمسك بأن يكون حق كل فرد فى الحياة مقدسا ومتساويا .

وفى الواقع فان كل حق منهما ما هو الا ترديد للحق الآخر . فانك اذا شنقتنى جزاء لى على قتلى لأحد عمال السفن ثم اكرمتنى رغم تركى أباه يموت جوعا لعدم وجود سفينة يعمل عليها فانت ترتكب سخفا اى سخف .

وبما ان العامل المقتول أقل ضررا بمراحل من العامل الذى يتضور جوعا فيكون من واجب المجتمع الرشيد اذن ان يحترم وان يكرم القاتل أكثر مما يحترم ويكرم الرأسمالى .

لقد بلغ الامر من الوضوح — وبلغ الشر من الاستشراء الحد الذى يجب علينا معه — اذا أردنا لمدينتنا الحاضرة ان تبقى لا ان تفنى كما سبقها من المدنيات — ان نشيد مجتمعنا بالشكل الذى يستطيع معه ان يقول لكل ادمى فى البلاد :—

« دع عنك كل تفكير فيما عسى تأكل او فيما عسى تشرب أو فيما عسى تكتسى »

وحينئذ فقط لن يكون بيننا قوم من الناس قلوبهم فى جيوبهم وفى خزائنهم وفى البنوك التى فيها اموالهم .

قال يسوع بالحرف الواحد «حيث تكون كنوزكم هناك تكون قلوبكم .»

وهذا هو السبب الذى حدا به أن يوصى بعدم اتخاذ المال ذخرا لنا . وبوجوب اتخاذ الاجراء اللازم لتنشئة أنفسنا على ان لانأبه بالمال اطلاقا وان نطلق لعقولنا العنان لكى تسبح فيما هو اجدى واسمى .

وبتعبير آخر انه يجب علينا ان نكون جميعا «افاضل» وان نعنى بوطننا لأن وطننا يعنى بنا وأن نتعفف عن ان نكون حقراء تجاريين لانسعى ولا نعمل الا من أجل المال نبيع له أجسادنا وأنفسنا بالدينار والدرهم بعد ان نقضى نصف أيامنا فى المساومة على الثمن .

لعمر الحق . مهما يكن رأيك فى يسوع . وسواء كنت تؤمن به الها ام لا تؤمن . ينبغى عليك ان تسلم بانه كان اقتصاديا من الدرجة الاولى .

يسوع كعالم بعلم الحياة

كان يسوع ايضا . كما سنرى . عالما بعلم الحياه من الدرجة الاولى .

لقد مر قرن ونصف قرن على المبشرين بنظرية التطور من عهد بوفون(١) وجوتا (٢) الى عهد بتلر (٣) وبرجسون (٤) — كى يقنعونا بأننا نحن

---

(١) بوفون « ١٧٠٧ — ١٧٨٨ » عالم فرنسى فى التاريخ الطبيعى له ٣٥ مجلدا أوضح وصفا دقيقا لتسلسل المملكة الحيوانية لم يسبق له مثيل .

(٢) جوتا « ١٧٤٩ — ١٨٣٢ » عالم وشاعر وكاتب المانى عظيم جدا . اشهر مسرحياته « فاوست » وأشهر قصصه « أحزان فرتر »

(٣) بتلر « ١٦١٢ — ١٦٨٠ ». شاعر انجليزى مجيد . الف كتاب « هوديبراس » من أبدع الشعر الانجليزى .

(٤) برجسون « ١٨٥٩ — ١٩٤١ » فيلسوف فرنسى شهير صاحب نظرية « التطور الخالق »

وأبانا واحد . وبأنه لما كانت مملكة السماء فى أعماقنا فانه لا حاجة بنا لأن نتجول باحثين عنها صائحين « يامن هنا ويامن هناك ! وبأن الله ليس شخصا فخما ذا اردية بيضاء . واحداً من أسرة مقدسة . بل أنه روح وبأننا من معين هذا الروح نتزود ونتطور الى حياة اكبر واسمى . وباننا المصابيح التى يشتعل فيها نور العالم ويضىء . والخلاصة اننا آلهة وان كنا نموت كسائر البشر .

كل هذه الآراء نجدها الآن فى الاسانيد السليمة من علمى النفس والحياه !

وكل المحاولات التى اراد بها علماء التاريخ والطبيعة من أمثال وايزمان (١) ان يردوا التطور الانسانى الى الآلية البحتة . لم يستطيعوا ان يمسوا بها عقيدة يسوع فى شىء ولو انهم تمكنوا من هدم أولئك اللاهوتيين الذين صوروا الله على أنه قطب أعظم تنتظم حوله الناس والملائكة . كما ينتظم روتشيلد حوله الثيران والعصافير فى حفل حافل .

النقــود والشــيوعية العلميــة

قد يسأل هنا قارىء ساذج لماذا لا نلجأ الى الشيوعية الفجة دفعة واحدة كما سبق ان طلب الى « الحواريين » أن يفعلوا .

ربما كان ذلك مستطاعا عمله فى قرية صغيرة حيث الانتاج محدود لتغطية الحاجات الاولية التى تفرضها الطبيعة على جميع الكائنات الآدمية على السواء .

---

(١) وايزمان سبق وروده فى صحيفة ٤٩ .

نحن نعلم أن الناس فى حاجة الى الخبز والى الاحذية دون ان ننتظر حتى يأتونا ليطلبوهاوليدفعوا أثمانها ولكن عندما تتقدم المدنية الى الحد الذى ننتج فيه أشياء ليس كل الناس فى حاجة ماسة لها بل ان بعضا منهم فقط هم الذين يحاولها أو الذين يستطيعون أن يستعملوها فحينئذ يصبح من الضرورى ان يتمكن بعض الاشخاص من الحصول على الاشياء مصنوعة خصيصا لطلباتهم وعلى حسابهم .

ليس هناك خطر من أن نصنع الخبز لجميع الناس لان جميع الناس يحتاجون للخبز ويستهلكونه ولكن من غير المعقول أن نعد ميكروسكوبات وآلات موسيقية وثعابين مستأنسةومضارب للكرة وامبيقات وأنابيب اختبار الى غير ذلك . لكل شخص منا اذن لألقينا بتسعة أعشار ما اعددنا فى الخلاء ولرفض تسعة اعشار السكان الذين لايستخدمونها ان تقدم لهم اطلاقا .

لهذا كانت النقود هى الآلة التى لاغنى عنها ابداً والتى يستطيع بها كل فرد منا ان يطلب وان يدفع ثمن ما يتخير من أشياء خاصة به عدا الاشياء الضرورية التى لاغنى له عن استهلاكها لكى يظل على قيد الحياة . وكذلك عدا الاشياء الاخرى التى تصر الدولة على أن يمتلكها وان يستعملها سواء أراد أم لم يرد . مثل الملابس والترتيبات الصحية والجيش والبحرية . الخ .

فى الجماعات الكبرى التى يمكن فيها تحديد الطلبات على السلع المراد انتاجها . تحديدا سابقا . بأقل مايكون من خطأ فى التقرير — بما فى ذلك السلع النادرة الطلب فان الشيوعية المباشرة (اى خذ ماتشاء دون ان تدفع شيئا . كما ورد فى أحد القصص الخيالية) ستبرهن بعد قليل من التجربة أنها ليست عملية فحسب بل اقتصادية اقتصادا رائعا الى درجة تبدو لنا الآن انها مستحيلة .

ان الصيادين والموسيقيين وعلماءالطبيعة . وعلماء الحياة سوف يجدون المعدات التى يريدونها بنفس السهولة التى يجدون بها خبزهم او كما يجدون الآن رصف شوارعهم واضائتها وبناء جسورهم وقناطرهم .

كذلك سوف لا يمتنع الذين حرموا من نعمة السمع من ان يساهموا فى انتاج الآلات الموسيقية متى كان الموسيقيون لا يمتنعون عن المساهمة فى انتاج السماعات لمن لايسمعون .

بل سوف تكون هنالك حالات (كالراديوم مثلا) التى لا يقدم على طلبها الا عدد أصابع اليد من اخصائى المعامل ومع ذلك فلا بد أن يساهم فى تكاليفها المجتمع بأسره لان ثمنها يؤود فردا واحدا تحمله .

هذا مع العلم بأنه حتى فى حالة توفير أعظم التسهيلات لتنشر الشيوعية نشرا قد يبدو الان خرافيا . ستظل هناك رغم ذلك — والى فترة طويلة — مناطق للعرض والطلب سيحتاج فيها الانسان الى النقود او الى الضمانات الشخصية لاستخدامها . ولهذا السبب فلا بد ان يكون لدى الناس دخول خاصة . مثال هذا حالة السفر الى خارج البلاد . فهى حالة توضح الموقف تماما.

بل اننا نحن لانزال بعيدين جدا عن مرتبة الشيوعية الاهلية الشاملة حتى انه لتنقصنا عدة تطورات جسيمة لشيوعيتنا المحلية قبل ان يكون فى استطاعة رجل من مانشستر السفر الى لندن لقضاء يوم دون ان يكون فى حاجة لحمل أية نقود معه .

لهذا فان الشكل العملى لشيوعية يسوع هو فى الوقت الحاضر التوزيع المتساوى لفائض الدخل القومى الذى لم تمتصه الشيوعية البسيطة بعد .

حــذار من الحــكم على النـــاس

أما فيما يختص بالجريمة والاسرة فان الفكر الحديث والتجارب المتواصلة لم تأت بأى ضوء جديد عدا الافكار التى أثرت عن يسوع .

لما تهيأت الوسائل للعلامة «سويفت» (١) لكى يصور فساد مدينتنا بواسطة إعداد قائمة بأمثلة من الاشرار الذين تخرجهم للوجود . أصر على ان يضع « القضاة » فى مكان بارز بجانب اولئك الذين هم يحاكمونهم . والظاهر أنه لم يفعل ذلك عن ترديد لعقيدة يسوع بل نتيجة لملاحظته هو وحكمه هو عليهم .

وجاء فى إحدى قصص مستر جيلبرت (٢) شسترتون ان البطل . وكان قاضيا . بينما كان ينظر قضية جنائية هاله سخف موقفه وسفالة الاشياء التى يرغمه على ارتكابها لدرجة انه ألقى بوشاح العدالة فى الحال وانبعث بين الناس يعيش عيشة رجل شريف بدلا من ان يكون وثنا قاسيا .

هذا وطالما سمعنا بتلك الدعاية المسماه (بالحتمية) التى يرددها الغباء الخالى من النفس والروح ويصور الانسان فيها كانه دمية ميته تتحرك هنا وهناك بفعل الوسط والماضى والظروف وغيرها بيد أنه رغم ذلك لاينى عن أن يذكرنا بان هناك حدا لعدد الوحدات التى يستطيع الشخص ان يضيفها لشخصيته سواء معنويا او ماديا . وانه من الغباء ومن الظلم ان تعذب رجلا

---

(١) سويفت «١٦٦٧ ـ ١٧٤٥» قصصى ارلندى مجيد ، اشـــهر كتبه « رحلات جالفز » و « معركة الكتب » .

(٢) جيلبرت شسترتن « ١٨٧٤ » من أقدر الكتاب الانجليز . له أبحاث ثمينه في الاجتماع والفنون والسياسة والنقد الادبى .

يتجاوز طوله خمسة أقدام لعجزه عن ان يقطف حبة من الفاكهة ليست فى متناول غير الرجل الفارع الطول .

لقد بلغتنى حالة طفل مسكين اشبعوه ضربا لأجابته اجابة خاطئة عن « الوقت » بالضبط . بعد ان مرن تمرينا كافيا على عقارب الساعة . فى حين كان السبب الحقيقى فى خطأ الاجابة هو قصر نظر الطفل وعجزه عن الرؤية !

ان هذه الحادثة لتصور لنا تصويرا مبينا مقدار السخافات والقساوات التى اندفعنا اليها بواسطة الغباوه المقابلة للحتمية وهى عقيده (حرية الاراده)

ان الفكرة القائلة بان الناس يمكنهم ان يصبحوا « اخيارا » اذا ارادوا . وان الواجب عليك هو ان تدفعهم دفعة قوية اضافية نحو الخير بواسطة تعذيبهم اذا هم ارتكبوا الشر — ان هذه الفكرة لتتضاءل حتى تصل الى درجة الخرافة ما لم تحرص على ان يكون تطبيقها داخل الحدود التى فرضتها الطبيعة على التوجيه الذاتى الذى تملكه غالبيتنا العظمى .

ان احدا فى العالم لا يمكنه ان يزعم ان رجلا بغير اذن موسيقية او بغير ملكة حسابية يمكن ارغامه . مهما بولغ فى تعذيبه حتى الموت . على ان يغنى سيمفونيات بيتهوفن او يتم مؤلف نيوتن عن نظريات الرياضة العالية .

« حـــدود الارادة الحـــرة »

يستنتج مما تقدم ان قوانيننا — ماعدا تلك التى تمثل ارهابا محضا اريد به ان تتستر المظالم وراءه بحجة القانون — يمكن ان تطاع بواسطة المران على بذل قدر مشترك من الاقناع ومن ضبط النفس .

أن غالبية الرجال والنساء تستطيع تحمل المضايقات العادية في الحياة وما تلقاه فيها من فشل دون ان ترتكب من أجل ذلك جنايات القتل . وهي تستنج من ذلك ان كل شخص في مقدوره ان يمسك عن ارتكاب تلك الجنايات متى اراد ولهذا فهم يتبعون طريقة تدعيم سيطرة الانسان على نفسه بالتهديد بتوقيع عقوبات خاصة .

ولكنهم في هذا مخطئون .

من الناس رغم ما يملكون من بسطة في العقل والجسم . من لا يملكون لأنفسهم قيادا عند الغضب الذى تثيره فيهم كربة يسيرة . الا ما يملكه الكلب من الكف عن العواء والعض اذا هو أولم فجأة الما شديدا .

ومن الناس من يقذفون بالسكاكين وبمصابيح الغاز المشتعلة في وجوه الجالسين معهم على موائد الطعام بسبب مشادة عابره .

والرجال الذين قضوا في الاشغال الشاقة سنين عديده عقابا لهم على تهجماتهم القاتلة تراهم بعد يوم واحد من اطلاق سراحهم يمسكون بزوجاتهم ويلقون بهن تحت سيارة من أجل كلمة نابية واحده .

وهناك من القوم ليس فقط من يعجزون عن ان يقاوموا انتهاز فرصة سرقة ليسدوا بها حاجتهم بل حتى من لديهم هوس غريزى بالسرقة فيرتكبونها دون ان تكون بهم اية حاجة لما يسرقون .

ثم ان بعض الرجال تفتنهم غارات السرقات الليلية كما تفتن السباحه لب بعض الاطفال

وكم بين المحترمين من الناس من ينصاعون لانذارات اطبائهم وللدروس المستفادة من تجاربهم فيمتنعون عن تناول الطعام والشراب الا بقدر سليم ؟

الحق يقال انه توجد فيما بين الذين يملكون قياد انفسهم . والذين فقدوا ذلك القياد طائفة قليلة من المتمارضين اخلاقيا . وهذه الطائفة هى التى يمكن فعلا ارغامها على ان تسلك السبيل القويم بواسطة الارهاب والتخويف من النتائج .

بيد ان الامر اذن أهون من أن يستحق الاحتفاظ بنظام كريه ينطوى على الاساءة الى المجرمين اساءة متعمدة . حقوده . مشوهه . باهظة التكاليف من أجل تلك الطائفة القليلة من الشواذ .

فاذا أردنا اجراء عمليا فيما يختص بالجريمة . فان الحتمية او « القدرية » تعتبر بحق قاعدة جد صالحة للاتباع .

فالناس الذين لا يملكون لأنفسهم قيادا كافيا من الوجهة الاجتماعية إما ان يبادوا عن آخرهم او ان يودعوا مصحات خاصة لأمكان فحص حالاتهم فحصا دقيقا والاستيثاق مما اذا كانوا قابلين للشفاء .

اما ان نعذبهم ونزعم غرورا وجهلا – على حسابهم – أننا فضلاء فذلك عمل وحشى يدعو للسخرية . والرغبة فى الابقاء عليه مبعثها الحقد وقسوة القلب . والحقد والقسوة هما على الاقل صفتان من الصفات الآدمية اذا مورسا واعلنا صراحة امام الملأ . ولكن ان يرتديا رداء العدالة الكاذب فذلك هو الامر الكريه حقا . ولعل هذا – فيما اعتقد – هو السبب الذى دعا « شكسبير » الى ان يجعل « ايزابيلا » تكيل اللوم الشديد للقاضى « انجيلو » ودعا « سويفت » ان يحتفظ بالركن الأحر من جهنم خصيصا للقضاه ..

وهذا هو كذلك . بغير شك . السبب الذى من اجله قال يسوع لتلاميذه « لا تحاكم احدا حتى لا تحاكم انت مثله » واذا استمع احد الى

كلماتى وأبى ان يقتنع بها فلن احاكمه لان لديه واحدا سيحاكمه . وذلك هو هو الأب الذى هو واحد معه » .

عندما نُسرق فاننا نلجأ توا الى القانون الجنائى . دون ان نفكر ملياً فى انه لو كان القانون الجنائى مجدياً لما سُرقنا ابدا — وهذه الحقيقة تضعنا موضع الاتهام باننا لانبغى غير محض الانتقام .

لست فى حاجة لأن استرسل فى هذا البحث طويلا . فلقد محصته تمحيصا وافيا فى غير هذا المكان . وانما اريد فقط ان ألفت النظر الى أننا ظللنا نحاكم ونعاقب منذ ان نهانا « يسوع » عن ذلك حتى الآن . وانى لأتحدى أى انسان أن يأتى بمثل واحد يقنعنى به ان العالم أصبح الآن فى حالة أفضل مما لو كان قد قضى تلك الفترة كلها دون قضاة ولا سجون ولا مشانق .

نحن لم نفعل شيئا اكثر من اننا أضفنا شقاء العقوبة الى شقاء الجريمة وقسوة القضاة الى قسوة المجرمين .

وقد امسكنا بالرجل الشرير فزدناه شرا بالتعذيب والتحقير . ونتج عن ذلك أننا أصبحنا كلنا اسوأ حالا ومصيرا مما كنا .

فهل فى ذلك شيء من الرشاد ؟ لعمرى لا ! .

لقد كان الاسهل والايسر ان نقتله قتلا (بأرحم ما يمكن) أو ان نصمه بسمة ظاهرة ونتركه لضميره او أن نعامله كما لو كان مريضا أو مجنونا كما يعامل المجانين فى هذا العصر (لاننا يجب ان لاننسى ان المجانين لم يعفوا من الضرب بالسياط والقيد بالسلاسل والحبس فى السجون الا مؤخرا) . وهذه لعمرى هى الطريقة المثلى التى كان يمكن ان توضع بها وصايا « يسوع » موضع التنفيذ .

يســـــوع والزواج والأسرة

عندما نأتى الى الزواج والاسرة نجد ان يسوع يبدى ضد التملك الشخصى للكائنات الانسانية (الذى هو سر الزواج وجوهره) نفس الاعتراض الذى يبديه ضد التملك الشخصى للثروه المادية .

أنه يقول أن الرجل المتزوج سيبذل جهده لكى يسر زوجته . والمرأة المتزوجة ستبذل جهدها لكى تسر زوجها . وذلك يشغلهما عن العمل لله !

وهذا القول هو ترديد آخر لقوله (حيث تكون كنوزكم تكون قلوبكم)

وبعد مضى ألف وثمانمائة عام على هذه الأقوال يأتينا شخص آخر مختلف كل الاختلاف عن يسوع ولكنه يقول نفس القول . ذلك هو (تاليران) (١) .

يقرر تاليران ان كل شخص متزوج ذى عائلة يفعل أى شىء من أجل المـــال .

وهذا القول وإن كان يفتقر الى الدقة العلمية الا أنه من الصدق بحيث يصلح ان يكون مانعا اخلاقيا من الزواج .

وما دام الانسان يملك حق المخاطره بحياته أو بمعيشته فى سبيل ارائه . فهو ليس فى حاجة الا الى الشجاعة والاقتناع لكى يجعل استقامته وبراءته فوق الشبهات .

---

(١) تاليران « ١٧٥٤ – ١٨٣٨ » سياسى فرنسى عظيم فى عهـد الثـورة الفـــرنسية .

ولكنه ما أن يتزوج حتى يفقد ذلك الحق . انظر مثلا الى (فاجنر) (١) والى الثوره التى تسببت فى هروبه وتركه وظيفته وخسارته لمرتبه ومعاشه معا . وانظر الى زوجته التى رفضت أن تغتفر له ابدا سروره وشعوره بالحرية عندما ترك ذلك المنصب واسلمها للفقر مرة ثانية .

ثم الرسام الفرنسى (ميليت) (٢) — لقد كان يمكن ان يقضى حياته كلها فى رسم الصور العارية الشديدة الرواج ابتغاء المزيد من الكسب ليس غير . لولا ان كانت له زوجة ذات خلق بطولى فأثنته عن ذلك وحضته على رسم صوره الباهرة الخالدة .

ان النساء من أجل أبنائهن وأهلهن قد يتزلن الى درك من العبودية والفحشاء لاتستطيع المرأة الخالية منهم ان تطيق الصبر عليه .

هذا هو كل ما هنالك فيما يختص باعتراض يسوع على الزواج وعلى الروابط العائلية وهو مناط تفسير رأيه فى السماء بأنها المكان الذى لاينبغى أن يكون فيه زواج ولا فيه تزويج .

والآن . ليس ثم سبب يجعلنا نفترض أنه عندما قال يسوع ذلك لم يكن يعنيه . حقيقة انه لم يقترح — كما اقترح بولس باسمه فيما بعد — أن تكون العزوبة هى القاعدة فى الحياة . اذ أنه لم يكن ساذجا . ثم أنه عندما استهجن

---

(٢) فاجنر « ١٨١٣ — ١٨٨٣ » الموسيقى الالمانى الذى كان له اكبر اثر على الفن الموسيقى فى القرن التاسع عشر . فى عام ١٨٤٣ حصل فاجنرعلى منصب مدير أوبرا « درسدن » وهو منصب ثابت محترم . وفى ١٨٤٩ نشبت ثورة ضد الملك انضم لها فاجنر . فلما فشلت اضطر للهروب تاركا منصبه ومرتبه ومعاشه معا . فتكدرت زوجته لذلك ولم تغتفرها له .

(١) ميليت « ١٨١٥ — ١٨٧٥ » مصور فرنسى من أشهر مصورى العالم. أعظم صوره « انجيلوس » حازت اعجاب الجميع .

الزواج . لم يكن قد بلغ به الاعتقاد (مثل بولس) بان نهاية العالم قد قربت . ولذلك لم يكن هناك حاجة الى زيادة سكانه .

فلا بد اذن انه كان يعني ان الجنس البشرى يجب ان يستمر دون ان ان يتقاسم النساء والرجال فيما بينهم تلك الصلات التى ينبغى أن تكون بين كل فرد منهم وبين الله مباشرة من داخل نفوسهم .

وهذا يثير مشكلة عملية اخرى وهى كيف السبيل الى ضمان الحصول على حرية الراهب والراهبة الروحية ونقائهما دون التبتل والانقطاع عن تجارب المتـــاع .

ان لوثر الراهب لم يحل المشكلة بزواجه من راهبه ولكنه اثبت بالطريقة العملية المقنعة أن فشل العزوبة كان أشد من فشل الزواج . (*) .

. . .

× اغفلنا ترجمة بضع فصول من المقدمة لانها لاتهم القارىء العربى ..

مسرحية اندروكليز والأسد
لبرنارد شو

شخصيات المسرحية

اندروكليز	خياط يونانى يحب الحيوانات	Androcles
ماجيرا	زوجته سليطة اللسان	Magaera
سنتوريون	جاويش	Centurion
كابتن	ضابط وسيم	Captain
لافينيــا	فتاة مسيحية جميلة	Lavinia
لينتولوس ميتولوس	وصيفان	Lentulus Metellus
ســبنتو	مسيحى عربيــد	Spintho
فيروفيوس	مسيحى شديد الايمان	Ferrovius
الامبراطور	فى عهــد الرومان	Emperor
ســائق	سائق عربة الثيران	Ox driver
الصبى المنادي	ولد صغير ينادى المتصارعين	Call boy
ريتياروس سيكوتور	مصـــارعان	Ritiarius Secutor
اديتــور	رئيس المصــارعين	Editor
كيــبر	المشرف على الاســود	Keeper
مصــارعون	بملابس المصـــارعة	Gladiators
مسيحيون ومسيحيات وجنود		Christians & Soldiers
عبيــد	زنــوج	Slaves

اسد ضخم الجسم ذو معرفة بهية الشكل وذيل طويل

مقدمة

الافتتــاح :

أصوات تنبعث من غابة . زئير اسود – أناشيد مسيحية فى صوت خافت .

طريق فى غابة . زئير اسد ينم عن عناء وألم يأتى من ناحية الغابة يتكرر ويقترب .

يظهر من خلال الأجم اسد يعرج على ارجل ثلاث رافعا كفه اليمنى وقد اصقت بها شوكة ضخمة .

يربض مليا يتأمل كفه . ثم يلعقها . ثم يهزها هزا . ثم هو يحاول اقتلاع الشوكة بأن يحك كفه فى الأرض حكا يزيدها الما على ألم فيسترسل فى زئير يدعو للرثاء . ثم يعود فيلعقها مرة ثانية . بينما تتساقط من عينيه الدموع .

بعد ذلك يتحامل فى عرج بمنأى عن الطريق ويستلقى تحت الشجر وقد اضناه الألم . ثم يزفر زفرة طويلة اشبه بصرير الريح فى البوق ثم يسلمه الأعياء الى النوم .

يظهر اندروكليز وزوجته ماجيرا يعبران الطريق .

أما هو فهزيل نحيل الى حد مزر يمكن ان ينسب معه الى اية سن فيما بين الثلاثين والخامسة والخمسين . ذو شعر فى صفرة الرمل . وعينين زرقاوين تفيضان بالعاطفة . وأنف حساس وجبين جد وضيء – بيد ان محاسنه

تقف عند هذا الحد لا تتعداه . فذراعاه ورجلاه وظهره وان كانت قوية نوعا ما الا انها بادية التغضن تنم عن شدة الحرمان .

وهو يحمل حزمة ضخمة . ويرتدى ملابس شديدة الرثاثة وتظهر عليه سيماء الجوع والأعياء .

وأما زوجته فهى امرأة جميلة الوجه سليطة اللسان مكتنزة الجسم بفضل الغذاء الوفير . وهى بعد لا تزال فى مقتبل العمر ولا تحمل شيئا عدا عصا ضخمة تعينها على الطريق .

ماجيرا : (تلقى بعصاها فجأة على الأرض) لن أخطو خطوة واحدة أخرى !

أندروكليز : (متوسلا فى عناء) أواه ! كفى عن هذا يا عزيزتى ! ما جدوى الوقوف مرة كل ميلين اثنين . وقولك « لن أخطو خطوة أخرى ؟! لا مندوحة لنا عن الوصول إلى القرية التالية قبل المساء فهذه الغابة ملأى بالوحوش الكاسرة . وبالأسود على الأخص ، فيما يقولون .

ماجيرا : لا أصدق كلمة واحدة مما تقول ! أنت تفتأ تهددنى بالوحوش الكاسرة حتى تزهق روحى عن جسدى بينما أنا لا أستطيع جر رجل أمام أختها . نحن لم نصادف أسداً واحداً حتى الآن !

أندروكليز : رفقا عزيزتى ! هل تودين أن ترى واحداً ؟

ماجيرا : (تنتزع الحمل الذى على ظهره) أيها الوحش الكاسر ! أنت لا تهتم بما أقاسى من تعب ولا بما قد يحدث لى (تلقى

بالحمل على الأرض) لاهم لك إلا التفكير فى نفسك ! نفسك ! نفسك ! .. ولا شيء إلا نفسك دائماً ! (تجلس فوق الحمل)

أندروكليز : (وقد قبع حزيناً على الأرض وكوعاه تستندان إلى ركبتيه ورأسه بين راحتيه) ينبغي علينا كلنا أن نفكر فى أنفسنا بين آن وآخر يا عزيزتى !

ماجيرا : ينبغي على الزوج أن يفكر فى زوجته مليا !

أندروكليز : قد لا يتيسر له ذلك دائماً يا عزيزتى ! وأنت تلزمينى التفكير فيك وقتاً طويلا . على أنى لا ألومك على ذلك !

ماجيرا : تلومنى ؟ أنت تلومنى ؟ أنت ؟ لا أكاد أصدق أذنى ! أترانى أخطأت إذ رضيتك زوجاً لى ؟

أندروكليز : كلا يا عزيزتى . إنما أنا المخطىء !

ماجيرا : ما أبدع هذا من قول تقوله لى . هل أنت غير سعيد معى ؟

أندروكليز : أنا لا أشكو يا عزيزتى !

ماجيرا : يجب عليك أن تخجل من نفسك !

أندروكليز : هذا ما أفعل يا عزيزتى

ماجيرا : أبداً ! إنك لتفخر بذلك !

أندروكليز : بماذا أفخر يا حبيبتى ؟

ماجيرا : بكل شيء ! بأن تجعل منى أمة لك. وأن تجعل من نفسك مسخاً مضحكاً ! ليس هذا بعدل ! لقد أدى ناعم أسلوبك ودائم تظاهرك

بالقداسة إلى وصمى أنا بالسفه وبذاءة اللسان . ولكونى ذات جسم بدين وعضل مفتول وذات قلب طيب ومزاج حاد . وأنت تدفعنى دائماً لارتكاب أشياء أأسف عليها فيما بعد لذلك أسمع الناس يتحدثون عنك قائلين « مسكين ! يا للعذاب الذى تسومه زوجته إياه ! رباه ! ليتهم كانوا يعلمون ! ولكن هل أنت تظن أنى أنا لا أعلم ؟ لا . لا . إنى أعلم . أعلم . (تأخذ فى البكاء) أعلم كل شىء !

أندروكليز : نعم يا عزيزتى . أعرف أنك تعلمين !

ماجيرا : إذن فلماذا لا تحسن معاملتى ؟ لم لا تكون لى زوجاً طيباً ؟

أندروكليز : ما الذى أستطيع أن أفعله يا عزيزتى ؟

ماجيرا : ما الذى تستطيع أن تفعل ؟ تستطيع أن تعود إلى القيام بواجبك . فتأوى إلى بيتك وتأنس إلى صحابك وتضحى للآلهة كما يضحى أكابر الناس بدلا من أن نتشرد عن بيتنا ومضجعنا موصومين بالكفر المرذول والألحاد اللعين ؟

أندروكليز : ما أنا بملحد يا عزيزتى . أنا مسيحى !

ماجيرا : نعم . ولكن أليس هذا هو نفس الشىء ؟ بل أنه لعشرة أمثاله سوءا ! كل إنسان يعلم أن المسيحيين هم أسفل السفلة أجمعين !

أندروكليز : مثلنا تماماً يا عزيزتى !

ماجيرا : تحدث عن نفسك فحسب . حذار أن تجرأ فتشبهنى بعامة الناس . لقد كان أبى مالكاً لمقهى خاص به . ولبئس ذلك

اليوم الذى جئت فيه أول مرة تحسو لك كأساً !

أندروكليز : أعترف بأنى كنت مدمناً يا عزيزتى . غير أنى أقلعت عنه منذ أصبحت مسيحياً .

ماجيرا : ليتك ظللت سكيراً إلى الآن ! كان ذلك أفضل .. إنى أستطيع أن أغتفر للرجل إدمانه الشراب فذاك أمر طبيعى . ولا أنكر أنى أنا أشتهى رشفة فى بعض الأحيان ... ولكن الأمر الذى لا أستطيع له احتمالا هو ولعك بالمسيحية . وشر من ذلك وأدهى ولعك الذى لا ينقطع بالحيوانات .
لعمرى كيف يتسنى لأية امرأة أن تبقى على نظافة بيتها إذا كنت تحشر لها فى فنائه كل قطة ضالة وكل كلب شارد وكل بطة عرجاء ؟
لقد سلبت الخبز من فمى كى تطعمهم إياه . إنك تعلم أنك فعلت هذا . لا تحاول النكران !

أندروكليز : لم أفعل ذلك إلا عندما كانوا جائعين وأنت أصبحت بدينة أكثر مما ينبغى يا عزيزتى .

ماجيرا : نعم : امض فى سبابك وشتمك . امض (تقف) أواه ! لا أستطيع تحمل ذلك لحظة أخرى .. لكم كنت تجالس تلك الحيوانات الخرس تتحدث إليها الساعات الطوال تاركاً اياى دون كلمة واحدة .

أندروكليز : إنها لم تكن تحير جواباً أبداً يا حبيبتى (يقف ويحمل الحزمة على كتفه)

ماجيرا : حسناً ! إذا كنت أكثر غراماً بحيواناتك عنك بزوجتك فى

وسعك أن تساكنها هنا فى الغاب . لقد ضقت ذرعاً بك وضقت ذرعاً بها . أنا راجعة . راجعة إلى بيتى !

أندروكليز : (ساداً دونها الطريق) لا يا عزيزتى . لا يبلغ بك الغضب هذا المبلغ . ليس فى وسعنا أن نعود . لقد بعنا كل شىء . سنموت جوعاً إذن وسيبعثون بى إلى روما حيث يرموننى إلى الوحوش !

ماجيرا : هذا ما تستحق ! لكم أود للوحوش أن تلذ بالتهامك (صارخة) افسح لى الطريق حتى أعود إلى بيتى ؟

أندروكليز : كلا . يا عزيزتى ....

ماجيرا : إذن فسأسلك سبيلى عبر الغاب . ولئن أكلتنى الوحوش المفترسة فستعلم عندئذ أية زوجة فقدت (تقتحم طريق الغاب وتكاد أن تقع على الأسد النائم) آه ! النجده ! أندى (تميل إلى الخلف وتسقط بين ذراعى أندروكليز الذى يؤوده حملها فيقع على حزمته)

أندروكليز : (وقد خلص نفسه من تحتها يضرب على يديها وهو فى قلق شديد (ماذا حدث يا جوهرتى . يا حبيبتى ؟ ما الذى راعك ؟ (يرفع رأسها فتشير وقد ألجم الرعب لسانها إلى جهة الأسد النائم . يختلس الخطى بحذر فى الاتجاه الذى أشارت إليه ماجيرا .. تقوم بجهد ثم تتحامل خلفه وهى على وشك السقوط)

ماجيرا : لا . أندى ! ستلقى حتفك . أرجع .

(يرسل الأسد النائم زفيراً طويلا . يلحظه أندروكليز فيقع

مغشياً عليه بين ذراعى ماجيرا التى تقع بدورها فوق الحزمة. ثم يتدحرجان فينفصلان عن بعضهما ويظلان يحملقان فى بعضهما وقد أخذ منهما الرعب كل مأخذ. يسمع الأسد وهو يئن أنينا شديداً فى الغاب .)

أندروكليز : (هامساً) هل رأيت ؟ إنه أسد !

ماجيرا : (فى يأس) لقد ابتلتنا به الآلهة لأنك مسيحى ! خذنى بعيداً أندى ! ونجنى من الهلاك !

أندروكليز : (واقفاً) ميجى ! عزيزتى ! لديك فرصة واحدة ! إن افتراسه إياى لن يقتضيه أقل من عشرين دقيقة لأن جسمى صلب ملىء بالأعصاب .. فى وسعك أنت الفرار قبل انقضاء هذه الفترة .

ماجيرا : أواه ! بربك لا تتحدث عن الافتراس (يقف الأسد على أرجله وهو يئن أنيناً مريعاً ثم يسير نحوهما يعرج فى مشيته) آه (يغمى عليها)

أندروكليز : (يهتز هلعاً ولكنه يظل واقفاً بين الأسد وماجيرا) حذار أن تقترب من زوجتى . أسامع أنت ؟ (الأسد يئن ويتوجع وأندروكليز لا يكاد يقوى على الوقوف من فرط الارتعاد) ميجى ! أسرعى ! أنجى بنفسك ! إذا تحولت عينى عنه قضى الأمر (يمد الأسد يده المجروحة ويظل يحركها هنا وهناك كأنما يسأل أندروكليز الإشفاق به (آه ! إن به لعرجا ! أيهذا الرفيق المسكين العجوز ! شوكة فى راحة يدك ! شوكة فظيعة الضخامة (بعطف شديد) لشد ما تتألم أيها الرجل المسن ؟ ترى كيف وجدت هذه الشوكة المخيفة

سبيلها إلى بطن كفك ؟ هل هى برحت بك إلى حد أعجزك
عن أن تتخذ من مسيحى صغير شهى ، طعاماً لأفطارك ؟
بيد أن هذا المسيحى الشهى الصغير سيخرج لك شوكتك
من يدك . ثم إنك لتأتى المسيحى الشهى الصغير وزوجته
السمينة اللذيذة الحلوة فتلتهمها التهاماً (الأسد يجيب بأنين
موجع) أجل . أجل . أجل . أجل ! والآن .. الآن (يتناول
راحة الأسد بيده) إياك والعض . إياك والخدش . أو
الخمش . حتى ولو شعرت بألم يسير . جد يسير ! والآن .
لتكن مخالبك فى نعومة القطيفه .. حسن جداً ! (يجذب
الشوكة برفق . يصرخ الأسد صرخة ألم غاضبه ويشد يده
بغتة فيقع أندروكليز على ظهره) التبا ااات ! آوه ! هل
المسيحى الصغير القذر القاسى أذى الكف الموجوعة ؟
(يئن الأسد أنيناً ينم عن الموافقة والاعتذار) حسن !
شدة واحدة أخرى وينتهى كل شىء ! مجرد شدة خفيفة .
خفيفة . خفيفة جداً تعيش بعدها قريرالعين مدى الحياة
(يجتذب الشوكة مرة ثانية يزأر ويصلك فكيه صكة رهيبة)
شىء من الصبر ! لا ينبغى لك أن تملأ بالرعب قلب طبيبك
الطيب العطوف .... ممرضك الودود الذى يتعهدك
بالعلاج ! هذا لن يصيبك بأى أذى ... على الاطلاق ..
لم تبق إلا شدة أخيرة واحدة كيما نبرهن على أن الأسد الكبير
الشجاع قادر على تحمل الألم وليس بطفل رضيع بكاء
كهذا المسيحى التافه ! هيا اخرجى !! (تخرج الشوكة

ويصرخ الأسد من شدة الألم ويهز كفه بوحشية) انتهى الأمر ! (يمسك الشوكة فى يده) ها هى الشوكة التى أضرت بك . والآن العق كفك بلسانك كى تزيل عنه الألتهاب القذر ! أنظر ! (يلعق هو يده بلسانه أمامه يستجيب الأسد بفطنة وذكاء ويقبل على لعق كفه لعقاً مستمراً) ما أحد ذكاءك ، أيها الليث الوحيد الوسيم ! هل تفهم قول صاحبك العجوز أندى أندى ؟ (الأسد يلعق وجهه) أى نعم . قبل أندى أندى (الأسد يهز ذيله بشدة يقف على رجليه الخلفيتين ويعانق أندروكليز الذى يقطب وجهه ويصرخ)

لتكن كفك ناعمة كالقطيفة ناعمة كالقطيفة (الأسد يخفى مخالبه) أجل . هذا جميل . (يعانق الأسد الذى يأخذ طرف ذيله بكفه ويلفه حول وسط أندروكليز ويجلسه فوق فخذه . يتناول أندروكليز الكف الثانية بيده ثم يمد ذراعه طويلا ويشرعان فى الرقص ثم يدوران معاً فى نشوة بالغة . دورة . فدورة ثانية . حتى ينتهى بهما الأمر إلى الاختفاء عبر الغاب .)

ماجيرا : (وقد عادت إلى رشدها لحظة الرقص) خسئت أيها الجبان ! إنك لم ترقص معى منذ سنين . وهذا أنت الآن تراقص وحشاً شرساً مفترساً ولما تمض على معرفتك به عشر دقائق . ولقد كان يود أن يفترس زوجتك نفسها . أيها الجبان ! أيها الجبان ! أيها الجبان !

(تقتحم الغاب جرياً وراءهما)

الفصـــل الأول

الوقت : مساء ، المكان : نهاية ملتقى ثلاثة طرق مؤدية الى روما، ثلاثة اقواس نصر تفصل بينها حيث تلتقى عند ميدان على باب المدينة ، الى الشمال وراء الاقواس يمكن رؤية الريف اذ تخترقه ثلاثة ممرات طويلة متربة ، على الجانبين الشرقى والغربى من الميدان توجد مقاعد حجرية عديدة .

يجلس شحاذ على الجانب الأيمن وعند قدميه اناء .

تتقدم عبر القوس الشرقى شرذمة من الجند تقوم على حراسة طائفة من السجناء المسيحيين من كلا الجنسين ومن كل الأعمـــار بينهم « لافينيا » وهى فتاة جميلة الوجه صلبة الرأى فى ريعـان الشباب يبدو عليها أنها من طبقة اجتماعية أعلى من طبقة زملائها. وجاويش يحمل فى يده عصا غليظة يسير بجانب الطابور جهـــة اليمين يتولى قيادته

الجميع استولى عليهم التعب وكسا ملابسهم الغبار .

الجنود يبدو عليهم الفظاظة وعدم المبالاه . بينما المسيحيون يبدو عليهم انشراح الصدر والتصميم على الاستهانة بمصـــائبهم واتخاذها سخرية وهم يوالون تشجيع بعضهم البعض .

يسمع صوت بوق من آخر الطريق الذى لاتزال شرذمة الجنـد قادمة منـــه .

الجاويش : (يقف) قف ! أوامر من حضرة الضابط (يقفون وينتظرون) وأنتم أيها المسيحيون . أسكتوا زقزقة العصافير هذه ! حضرة الضابط قادم توا . ألزموا جانب الأدب . لا غناء بعد الآن . اظهروا بمظهر الاحترام ! اظهروا بمظهر الجد

إذا كان ذلك فى وسعكم ! انظروا . هل ترون ذلك البناء الضخم المقام هناك ؟ إنه الكوليزيم . الملعب الامبراطورى . إنكم ستلقون فيه للأسود بعد قليل أو تدفعون دفعاً لملاقاة المصارعين . (يدخل الكابتن) انتباه . سلام ! (الجنود يؤدون التحية)

أحد المسيحيين : (ببشاشة وسرور) ليباركك الله أيها الكابتن !

الجاويش : (كالخجل من شيء فاضح) اخرس؟

الضابط : (وهو من طبقة الأشراف . وسيم . حول الخامسة والثلاثين من العمر . يتصف بالبرود الشديد ويبدو عليه التميز والترفع والحزم فى الأمور. يصعد فوق مقعد حجرى على الجانب الغربى من الميدان خلف الجاويش وذلك كى يشرف على الجميع اشرافاً كاملا فعالا) يا جاويش !

الجاويش : (يقف وقفة عسكرية ويؤدى السلام) أفندم !

الضابط : (يتكلم بخشونة وبطريقة رسمية) بلغ رجالك أيها الجاويش أننا مقبلون الآن على روما . وأعلمهم أنهم ما أن يتخطوا أبواب روماحتى يصبحوا فى حضرة الأمبراطور . وأفهمهم أنه لا يمكن السماح هنا بالتهاون فى نظام الطابور . وأمرهم بحلاقة الذقن مرة كل يوم لا مرة فى الأسبوع .. وأنذرهم على وجه الخصوص بأن يكفوا عن النجاسة وعن الكفر اللذين يتمثلان فى إنشاد الأناشيد المسيحية أثناء الطابور .. ثم إنى أرى واجباً على أن أوبخك أيها الجاويش لأنك لم تقف عند حد السماح لهم بالإنشاد بل شاركتهم فيه !

الجاويش : (معتذرا) إنهم عندئذ يحسنون المسير أكثر يا سيدى الضابط !

الضابط : لا شك فى ذلك ! ولهذا تستثنى الحالة التى ينشدون فيها النشيد الذى يقول « إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون » ... هذا النشيد مباح ترديده إلا عند المرور أمام دار القضاء أو على مسمع من قصر الامبراطور وعندئذ يجب أن تبدل تلك الكلمات إلى « ألقوا بهم إلى الأسود » .

(ينفجر المسيحيون بالضحك بشكل لا يمكن التحكم فيه الأمر الذى يجعل الجاويش يشعر بالخجل كأنه أتى أمراً فاضحاً)

الجاويش : سكوت ! سكووت !!! أين أخلاقكم ؟ هل هذه هى الطريقة المثلى للاستماع إلى ضابط ؟ . (ثم للضابط) هذا هو الذى نقاسيه فى كل يوم من هؤلاء المسيحيين يا سيدى ... انهم لا ينفكون عن الضحك والتنكيت وهذا شىء فاضح يا سيدى . انهم لادين لهم . هذا هو كل ما هناك !

لافينيا : أظن حضرة الضابط أراد اضحاكنا أيها الجاويش ! لقد كان ظريفاً !

الجاويش : سترين كيف يكون الظرف غداً عندما يلقى بك للسباع . « للضابط الذى يبدو عليه الأستياء » أسألك المعذرة ياسيدى ! (ثم للمسيحيين) اخرسوا !

الضابط : عليك أن تنذر رجالك أن كل ألفة بينهم وبين السجناء المسيحيين يجب أن تقطع فوراً . لقد تعود رجالك الاتكال على المساجين . وخاصة النساء منهم . وذلك فى الطبخ

أو اصلاح الملابس الرسمية أو تحرير الخطابات أو الاستشارة فى أمورهم الشخصية .. الجندى الرومانى غير مسموح له بمثل هذا التواكل ! فحذار من أن أرى شيئاً من هذا القبيل ونحن فى العاصمة !

علاوة على ذلك أن الأوامر الصادرة إليك تقضى بأنه عند مخاطبة رجالك للمسيحيين السجناء يجب أن تعرب أصواتهم عن المقت والاحتكار ! كل تقصير فى هذا الشأن سوف يعتبر إخلالا بالنظام (يستدير نحو المساجين) أيها المساجين !

الجاويش : (بوحشية) مساجين ! انتباه ! سكوت !

الضابط : أيها المساجين . أوجه التفاتكم إلى أنكم ستستدعون للظهور فى الملعب الامبراطورى فى أية لحظة ابتداءمن الغد وما بعده تبعاً للترتيبات التى يضعها المديرون . وأعلنكم أنه بالنظر إلى النقص الطارىء فى عدد المسيحيين الآن . فالمتوقع أن يعجل باستدعائكم فى أقرب وقت !

لافينيا : وماذا عساهم يصنعون بنا أيها الضابط ؟

الجاويش : سكوت !

الضابط : ستساق النساء إلى حومة الوحوش الضارية فى الملعب الامبراطورى حيث يلقين قدرهن . أما الرجال فالذين منهم فى سن يستطيعون معها حمل السلاح . سيمدون بالسلاح إذا شاءوا كى يدافعوا عن أنفسهم أمام المحاربين الأمبراطوريين !

لافينيا : أيها الضابط . أليس ثمة أمل فى أن ذلك الاضطهاد الوحشى ؟.

الجاويش : (مترعجاً) سكوت ! اقفلى فمك هناك .. اضطهاد ؟ ! يا للعجب !

الضابط : (دون أن يبدو عليه التأثر وبشيء من التهكم) الاضطهاد وصف لا ينطبق على أعمال الامبراطور . أن الامبراطور هو حامى حمى الايمان وهو إذ يلقى بكم إلى السباع إنما يدافع عن مصالح الدين فى روما . أما إذا حدث أن تمكنتم أنتم من الالقاء به إلى السباع . فذلك يكون هو الاضطهاد بغير شك !

(المسيحيون يضجون بالضحك مرة ثانية)

الجاويش : (مرتعباً) سكوت قات لكم ! اخرسوا ! أنتم هناك ! هل رأى أحد مثل هذا الهرج فى حياته ؟

لافينيا : أيها الضابط ! لن يقدر أحد نكتتك حق قدرها بعد رحيلنا !

الضابط : (غير مهتز ولا متأثر فى إلقائه الرسمى) أنا أوجه نظر تلك المرأة السجينة « لافينيا » إلى أن الأمبراطور شخص سماوى وأن نسبة الظلم إليه لا تعد خيانة فحسب بل كفر بكل ما هو مقدس ! وأعلمها فوق ذلك أن اتهامها لا دعامة له إذ أن الأمبراطور لا يود أن يرى سجيناً واحداً يتألم . كما أنه لا يسمح بأن يضار مسيحى ما إلا أن يكون ذلك قصاصاً على العناد .

كل ما هو مطلوب منكم هو أن تقدموا قرباناً للآلهة فى

حفل بسيط مريح . وذلك بأن تضعوا فوق المذبح قطعة من البخور . ومن يفعل ذلك من المساجين يجد نفسه حراً طليقاً فى الحال . إزاء ذلك . ليس لكم أن تلقوا باللائمة إلا على جنون عنادكم الذى جلب عليكم هذا العذاب ...

إنى أقترح أنه إذا تعذر عليكم أن تشعلوا شعلة البخور عن عقيدة واقتناع فلا أقل من أن تؤدوا ذلك عن ذوق ومجاملة حتى لا تصدموا العقائد الدينية التى يعتنقها الرفاق المواطنون .

أنا على يقين من أن هذه الاعتبارات لا وزن لها فى نظر المسيحيين ولكن واجبى يقضى على أن أوجه التفاتكم إليها حتى لا تكون لكم حجة فى الشكوى من سوء المعاملة أو فى اتهام الامبراطور بالقسوة فى الوقت الذى يغمركم فيه بأوفى قدر من الحلم .

إذا نظرنا إلى الأمر من وجهة النظر تلك . فأن كل مسيحى يموت فى فناء الملعب إنما يكون قد أقدم بنفسه على الانتحار !

لافينيـــا : أيها الضابط أن مزاجك عبوس إلى أبعد حد لا تحسب أن الموت علينا هين يسير . أن ايماننا ليجعل حياتنا أرسخ قدماً وأرفع قدراً مما لو كنا نمشى فى ظلام حالك ليس فيه ما نحيا من أجله ! ان الموت لأقسى وقعاً علينا مما هو عليك . إن المرارة التى يتجرعها الشهيد ساعة موته لا يعدلها إلا المجد الذى يوليه انتصاره إياه .

الضابط : (مرتبكاً إلى حد ما يخاطبها شخصياً وبمنتهى الجد) يا لافينيا كل شهيد مجنون ! وأن موتك لن يقوم برهاناً على شىء .

لافينيـا : فعلام قتلى إذن ؟

الضابط : ما أعنيه هو أن الحق . إن كان ثم حق . ليس فى حاجة إلى شهداء !

لافينيا : كلا ! إن إيمانى . مثله مثل سيفك . فى حاجة إلى امتحان ! هل فى وسعك أن تبلو سيفك إلا أن تخاطر بحياتك فى سبيله ؟

الضابط : (وقد استعاد لهجته الرسمية فجأة) ألفت نظر المرأة السجينة إلى أن المسيحيين غير مسموح لهم أن يجتذبوا ضباط الامبراطور إلى نقاش ولا أن يلقوا عليهم من الأسئلة ماتحول التعليمات العسكرية دون الإجابة عليه . (المسيحيون يرسلون ضحكات مكتومة)

لافينيا : أيها الضابط . كيف تستطيع ؟

الضابط : ألفت نظر المرأة السجينة بصفة خاصة إلى أن أربعة بيوت توفرت فيها أسباب الراحة والدعة قد أعدت لها بواسطة ضباط هذه الفرقه وأنها فى حل من أن تختار من بينها ما تشاء فى نفس اللحظة التى ترضى فيها أن تقدم القربان للآلهة كما تفعل فضليات النساء الرومانيات ! والآن ليس لدى ما أقوله للمساجين بعد هذا !

الجاويش : انصراف ! لكن اثبتوا فى مكانكم !

الضابط : يا جاويش . أنت ستبقى هنا . أنت ورجالك قائمين على حراسة السجناء حتى يصل ثلاثة مسيحيين آخرين فى صحبة جنود من الكتيبة العاشرة .

وستجد بين أولئك الثلاثة مقاتلا يسمى « فيروفيوس » ذا طبيعة فظة خطرة وذا قوة بدنية هائلة . وخياطا يونانيا يدعى أندروكليز اشتهر بالسحر والشعوذة . أولئك الثلاثة سينضمون إلى هؤلاء الذين تحت إمرتك هنا وعليك أن تسوقهم جميعا إلى الملعب الامبراطورى حيث تكلهم إلى حراسة كبير المصارعين على أن تتسلم إيصالا بهم ممهوراً بأمضائه المؤيدة بأمضائى حارس الوحوش ونائب المدير ! هل أحطت علما بتعليماتك ؟ .

الجاويش : نعم ياسيدى !

الضابط : انصراف ! (يخلع عنه مظهره الرسمى وينزل عن مقعده .. (يجلس الجاويش على نفس المقعد ويتهيأ للنوم بينما جنوده يقفون دون كلفة والمسيحيون يجلسون فى الناحية الغربية من الميدان فرحين بالراحة التى غنموها) .

(وقد ظلت لافينيا وحدها واقفة تتحدث مع الضابط)

لافينيا : قل لى أيها الضابط . هل ذلك الرجل الذى سينضم الينا بعد قليل هو « فيروفيوس » النابه الصيت الذى أتى بالعجائب فى هدى الكثيرين من سكان المدن الشمالية إلى الدين ؟

الضابط : نعم ! ولقد أنذرنا بأن له قوة الفيل . وشراسة الثور المجنون .

بل يقال إن جنونه مطبق فعلا . وليست هذه شيم المسيحى فيما يبدو !

لافينيا : ليس ثم ما يدعوك إلى الخوف منه إن كان مسيحيا . ايها الضابط !

الضابط : (ببرود) لن اخافه على اية حال يالافينيا !

لافينيا : (وقد رفعت عيناها ابتهاجا) ما أشجعك ايها الضابط !

الضابط : انت محقة . لقد كان ذلك قولا سخيفا (ثم بصوت خفيض عاطفى سريع .) لافينيا ! هل يعرف المسيحيون كيف يحبون ؟

لافينيا : (بجد) نعم ايها الضابط . إنهم يحبون حتى اعداءهم !

الضابط : وهل هذا ميسور ؟

لافينيا : ميسور جدا ايها الضابط عندما يكون لأعدائهم مثل جمالك !

الضابط : لافينيا ! هل تهزأين بى !

لافينيا : بك انت ايها الضابط ؟ محال !

الضابط : اذن فأنت تغازلينى ! هذا ادهى ! لاتكونى حمقاء !

لافينيا : ولكن الضابط رائع الجمال !

الضابط : لا فائده ! (بسرعة) إصغى إلى ! إن اولئك الرجال الذين سيحضرون اجتماع الغد هم فى الدرك الأسفل من الشهوانية . إنهم ذئاب لا تثير المرأة الحسناء لديهم لذة امتع واشهى من التحديق اليها وهى تسام صنوف العذاب . تستغيث بينما جسدها يمزق شر تمزيق ! إن إشباع تلك الشهوة جريمة نكراء ! إنها بمثابة إيتاء الفحشاء

مع السابلة من الغوغاء والسفلة من رجال القصر فى آن واحد!
فلم لاتختارين بديلا من ذلك حبا رقيقا وصلة جد نبيلة ؟

لافينيا : هم لايستطيعون العبث بروحى ! انا وحدى انى اقدر على فعل ذلك إذا ما قربت القربان لآلهة كاذبة زائفة ؟

الضابط : إذن قربى قربانك للآله الحق . ما الذى يهمك من اسمه ؟ نحن نسميه «المشترى» . واليونان تسميه «رب الأوليمب» . سمه ماتشائين إذ تلقين بالبخور فى نار المذبح ! إنه بما تفعلين عليم !

لافينيا : لا . لا استطيع ! عجيب ايها الضابط ان تثير كسرة بخور كل هذا الخلاف . إن الدين لشىء عظيم . إنه من العظمة بحيث انى ما صادفت ناسا متدينين حق التدين إلا تصادقنا فى الحال دون ان نلقى بالا الى الأسم الذى اضفيناه على تلك القدرة الآلهية التى انشأتنا وماضية فى تحريكنا ! ثم مهلا ! هل يدور فى خلدك انى انا — الأنثى — أعمد الى خصامك لمجرد كونك تقدم قربانا إلى الآلهة الأنثى «ديانا» إذا كانت «ديانا» تعنى لديك مايعنيه المسيح لدى ؟ كلا ! بل إننا لنركع معا جنبا إلى جنب امام مذبحها مثل طفلين صغيرين !

ولكن إذا جاء رجال لايؤمنون بآلهتهم ولا بآلهى . رجال لا يفقهون لكلمة الدين اى معنى . إذا جاءوا يجروننى إلى قاعدة تمثال من حديد بات رمزا للظلم والظلمة التى يجوسون خلالها . ورمزا لفسقهم وجشعهم وكفرهم بالله واضطهادهم

للناس — إذ جاء هؤلاء الرجال يطالبوننى بأن أشهد الناس قاطبة على انى أومن بأن ذلك التمثال القبيح هو الله . وان شرورهم واباطيلهم هى الحقائق الآلهية . فذلك مالا قبل لى به ابدا ولو ان دونه الف موت ذريع .

صدقنى . إن هذا ليستحيل استحالة طبيعية !

إصغ إلى ايها الضابط . هل حاولت مرة فى حياتك ان تمسك فأرا بيدك ؟

لقد تعود فأر صغير أليف أن يدنو منى ويعبث بما على الطاولة التى اقرأ اليها من اوراق . فأردت يوما ان امسكه بيدى وأداعبه وقد كان ذلك فى مقدورى لأنه كان يحبس نفسه أحيانا بين الكتب . فلو مددت ذراعى ما استطاع الأفلات . ولقد هممت بمد يدى فعلا ولكنها كانت ترتد إلى رغما عن إرادتى . لم اكن اخاف منه فى قرارة نفسى ولكن يدى هى التى كانت تأبى . لأنه ليس من طبيعة يدى ان تمس فأرا .

لهذا . أيها الضابط . فلو أننى امسكت بقبضة من بخور وهممت ان امد يدى لألقى بها إلى نار المذبح إذن لأرتدت يدى راجعة إلى ! إن جسدى يأبى إلا أن يظل امينا لأيمانه حتى ولو كان فى مقدورك ان تدنس نفسى .

إلى جانب هذا سأبقى مدى حياتى على إيمان بدبانا أوثق من ايمان مضطهدى بأى شىء عبدوه . أقادر انت على فهم ما أقول ؟

الضابط : (ببساطة) نعم . إنى لفاهم ! ولكن يدى انا الأخر تأبى أن ترتد إلى ! إن اليد التى تقبض على السيف قد ربيت على أن لا ترجع القهقرى عن شىء ابدا إلا بعد إحراز النصر !

لافينيا : حتى ولا عن الموت ؟

الضابط : الموت اهون من كل شىء !

لافينيا : لهذا ينبغى على ان لا أخشى الموت أنا أيضا . يجب على المرأة ان تكون أشد شجاعة من جندى !

الضابط : اشد كبرياء ! هذا هو ما تعنين !

لافينيا : (جافلة) كبرياء ؟ وهل تسمى شجاعتنا كبرياء ؟

الضابط : ليس ثم ما يسمى شجاعة . كل ما هنالك كبرياء ! انتم المسيحيين اشد الشياطين كبرياء على الأرض !

لافينيا : (مستاءة) ادع الله إذن ان لا تصبح كبريائى كاذبة ابدا (تبتعد عنه كما لو كانت لا تود الأسترسال فى الحديث ولكنها تعود فتتلطف معه وتقول فى ابتسامة) اشكرك على محاولتك إنقاذى !

الضابط : كنت أعلم انه لا جدوى . ولكن الأنسان قد يعمل على نقيض ما يعلم !

لافينيا : هل من شىء يخفق . حتى فى صدر جندى رومانى قُدّ من حديد ؟ .

الضابط : بلى ولكنه لا يلبث حتى يعود حديداً مرة اخرى . كم من امرأة رأيتها تموت ولقد نسيتهن جميعا بعد اسبوع واحد !

لافينيا : أبق على ذكراى اسبوعين أيها الضابط الجميل فلعلى أكون آنئذ أرنو اليك !

الضابط : من السموات ؟ كفّى عن خديعة نفسك ! ليس لديك ما تنتظرين بعد القبر يا لافينيا !

لافينيا : ماذا يهم ذلك ؟ هل تحسب أنى لست سوى هاربة من عذاب هذه الحياة الى نعيم السماء ؟ إذا لم تكن هناك حياة آخرة أو كانت الحياة الآخرة هى الأخرى ملأى بالعذاب فأنى سائرة اليها على اية حال لا محالة ! إن يد الله فوق فعالة لما تريد !

الضابط : نعم ! وبعد كل شىء . إن كلينا نبيل يا لافينيا وعلينا أن نموت فى سبيل معتقدنا . الوداع (يقدم لها يده . تأخذها وتضغط عليها . فيسير مبتعدا عنها فى نظام وثبات . تتطلع فى أثره لحظة وتبكى قليلا عندما يختفى عبر القوس الشرقى . يسمع صوت نفير من خلال القوس الغربى)

الجاويش : (يستقيظ وينهض واقفا) حرس الكتيبة العاشرة قادم مع المساجين ! اثنان يتقدمان معى لأستقبالهم . (يخرج عبر القوس الغربى يتبعه اربعة جنود فى صفين يدخل الى الميدان من الجانب الغربى كل من «لنتولوس» و «ميتيلوس» يسير فى اثرهما رتل من الحشم والخدم .

الأثنان من رجال الحاشية . فى زهرة الشباب ويرتديان ملابس غاية فى الأناقة .

لنتولوس نحيل القوام جميل الشعر شبيه الشكل بالنساء

ميتيلوس بادى الرجولة متين بناء الجسم . اسمر اللون قليل الكلام .)

لنتولوس : المسيحيين ! قسما بالمشترى لنسخرن منهم !

ميتيلوس : وحوش رهيبة ! لو انك عرفت عنهم مثل الذى اعرف لما نزلت الى السخرية بهم ! دعهم للأسود الضارية !

لنتولوس : (مشيرا الى لافينياالتى لا تزال جالسة تتطلع نحو الأقواس باحثة عن الضابط) ما اجمل هذه المرأة (يسير امامها وهو يحملق فى وجهها محاولا اجتذاب نظرها بينما هى فى شغل عنه غير آبهة له) هل تديرين خدك الآخر لمن يقبلك على هذا الخد ؟

لافينيا : (مترعجة) ماذا تقول ؟

لنتولوس : هل تديرين خدك الآخر لمن يقبلك على هذا الخد ايتها المسيحية الفاتنة ؟

لافينيا : دع عنك هذا الطيش ايها الشاب (لميتيلوس الجالس على يمينها وهى جالسة بينهما) ارجوك ان تمنع صاحبك من ان يسلك مسالك الأبتذال امام الجنود . أنى لهم ان يحترموا النبلاء ويطيعوهم وهم يرونهم يأتون اعمال غلمان الأزقة ؟ (ثم بحدة للنتولوس) اصلب مائع جسمكِ ايها الفتى وارفع

رأسك الى أعلى وثبت اركان فمك . واعمل على احترامى !
من تظننى اكون؟

لنتولوس : (بتلعثم) اسمعى يا امرأة . لعلك لا تعرفين . انا – انت – انا

لافينيا : صغار ! الزم عملك المنوط بك (تستدير مبتعدة بعزيمة قاطعة وتجلس بين زملائها تاركة إياه فى حيرة وقلق)

ميتيلوس : إنك لم تفد من ذلك كثيرا . لقد ابلغتك انهم وحوش !

لنتولوس : يا لها من صبية حلوة شجاعة ! يخيل إلى انها ظنت انى مغرم بها (وبشكل يدل على عدم الاكتراث يسير يتبختر إلى جانب ميتيولوس نحو الجانب الشرقى من الميدان حيث يقفان معا يرقبان عودة الجاويش ورجاله وهم يحرسون السجناء الثلاث «فيروفيوس» ، «واندروكليز» و«سبينتو».
«فيروفيوس» فى مقتبل العمر قوى الجسم نارى المزاج . كبير الأنف ضخم الرقبة زائغ العينين . رجل تكاد تصل حساسيته المرهفة العنيفة حد الجنون .
«سبنتو» شهوانى خليع يمثل البقية الباقية من رجل جميل الوجه استرسل فى الأثم استرسالا لارجاء فيه .
«اندروكليز» مثقل بالأحزان يحبس دموع عينه بصعوبة بالغـــة .

الجاويش : (إلى لافينيا) هاك بعض زملاء لك يا لافينيا . هذا الخفة الرشيق النحيل هو «فيروفيوس» الذى تتحدثين عنه كثيرا (فيروفيوس يحدق فيه متوعدا – يرفع الجاويش اصبع يده اليسرى منبها) تذكر انك مسيحى . وان عليك ان

ان تقابل الأساءة بالأحسان (فبروفيوس يتمالك نفسه بمجهود قريب من التشنج ويتجنب الأسترسال فى غضبه بالذهاب نحو الجهة الشرقية إلى جانب لنتولوس . يضم يديه فى شكل صلاة صامتة ثم يركع على ركبتيه) هذه هى الطريقة التى يساسون بها .... آه .... اما هذا الرفيق الوديع (مشيرا إلى اندروكليز الذى وقف إلى يساره بعد أن ألقى سلاما حزينا على لافينيا) فهو سحار ، وطنه اليونان

وصناعته خياطة الملابس ولكنه ساحر حقيقى ! ليس فى ذلك ادنى شك . لقد احال النمر إلى حيوان اليف يسير على رأس صف من صفوف الكتيبة العاشرة وجعل منه صديقا عزيزا . وأنه الآن يبكى لبعده عنه (اندروكليز يتنهد بحزن) أليس كذلك أيها الرفيق العجوز ؟ حسنا . افرح وابتهج . فنحن نسير الآن ومعنا تيس جد كبير (اندروكليز يبتهج) افترس نمرين ضارين والتهم ديكا روميا عن آخره . يمكنك ان تتخذه صديقا عزيزا إذا شئت (اندروكليز وقد تعزى تماما يمر من امام الجاويش ناحية لافينيا حيث يجلس قابعا على الأرض الى يسارها) اما هذا الكلب القذر (يمسك بخناق سبينتو) فمسيحى قح . يقتحم المعابد . مؤكد ! (فى كل تهمة يلف ياقة قميص سبنتو لفة جديدة بيده) يهشم كل شىء فى طريقه وهو سكران للدرجة الجنون — مؤكد ! يسرق الأوانى الذهبية مؤكد ! ويهاجم الراهبات انفسهن . مؤكد .

سافل ! (يلقى سبنتو وسط السجناء) انت هو الصنف الذى يجعل من الواجب الثقيل لذة وتسلية . مؤكد !!

سبنتو : (وهو يلهث (تمام !!! اخنقنى . ارفسنى بقدمك . اضربنى . سبنى . ان يسوع نفسه قد ضرب وقد سب ! هذا هو سبيلى الى السماء ! كل شهيد يصعد الى السماء مهما أتى او فعل ... هذه هى الحقيقة . أليس كذلك ياأخى؟

الجاويش : حسنا ! اذا كنت انت ذاهب الى السماء . فأنا ارفض الذهاب اليها . لا احب ان أرى معك فى مكان واحد !

لنتولوس : ها ها ها !! (مشيرا الى فيروفيوس الراكع) هل هذا واحد من أولئك المهذبين جماعة أدر خدك الأيسر . ايها الجاويش ؟

الجاويش : اى نعم يا سيدى . اتمنى لك الحظ أنت ايضا اذا شئت ان تأخذ حريتك معه .

لنتولوس : (الى فيروفيوس) هل تدير خدك الآخر اذا ضربت ؟ هكذا يقولون .

فيروفيوس : (وهو يدير وجهه ببطء محملقاً فيه بعينيه الواسعتين) نعم . بنعمة الله هذا هو ما افعله الآن !

لنتولوس : ليس عن جبن طبعا ولكن عن تقوى حقه ؟

فيروفيوس : أنا اخاف الله اكثر مما اخاف الأنسان ... على الأقل هذا هو ما احاول ان أفعل .

لنتولوس : فلنجرب اذن (يضربه على خده . اندروكليز يتحرك بوحشية بغية الوقوف والتدخل ولكن لافينيا تمسك به وتقعده — فيروفيوس دون أن يتراجع . يدير خده الآخر . لنتولوس دون حياء يقهقه بجنون ويضربه ضربة خفيفة ثانية) ثق انى كنت اشعر بالخجل اذا سمحت لنفسى ان أضرب هكذا وتقبلتها وانا قابع مكانى . ولكن الفرق هو انى لست مسيحيا . بل رجل (فيروفيوس يستوى واقفا بتأثر ويهجم عليه . لنتولوس يصفر رعبا وتظلل خده خضرة الهلع وقتا ما) .

فيروفيوس : (فى هدوء اشبه بهدوء المطرقة البخارية (فى الماضى لم اكن دائم الطاعة لأوامر دينى . وأول رجل لطمنى كما لطمتنى انت الآن ، كان اشد منك قوة . وكانت لطمته اقسى مما اتوقع ! فدخلت فى تجربة وسقطت . ولقد كانت تلك هى المرة الأولى التى ذقت فيها مرارة الخجل . ولم استشعر لحظة راحة بعدئذ الا بعد ان ركعت على ركبتى الى جانب سريره فى المستشفى اسأله الصفح والمغفرة (ثم واضعا يديه على كتفى لنتولوس فى حزم ابوى) اما الآن فلقد تعلمت ان اتجلد . بقوة فوق قوتى . ولقد زدت عن الخجل وعن الغضب معا .

لينتولوس : (بقلق) م . م . مساء الخير (يحاول الأبتعاد)

فيروفيوس : (ممسكا بكتفيه) مهلا مهلا ! انزع من قلبك كل اثر للقسوة ايها الفتى أنصت لى . جرب ذلك من أجل نفسك

حتى ولو كان معتقدنا لا يفضل معتقدكم ! سألطمك الان على خدك . وستدير خدك الآخر ! وعندئذ ستدرك كم يسمو الشعور الذى تشعر به على نوازع الاستسلام الى الغضب (يمسكه بأحدى يديه ويستعد لضربه بقبضة اليد الأخرى) .

لنتولوس : يا جاويش ! النجدة !

الجاويش : انت الذى سعيت الى ذلك بنفسك يا سيدى ! لا شأن لنا بكم ! لقد لطمته لطمتين فأحرى بك ان تتقده شيئا على سبيل المقاصة .

لنتولوس : نعم . عن طيب خاطر (لفروفيوس) على انى أؤكد لك ان الأمر كله لم يتعد المزاح . لم اقصد اذى قط .. خذ ! (يناول فيروفيوس قطعة ذهبية)

فيروفيوس : (يتناولها ويلقى بها الى السائل العجوز الذى يتلقفها بشراهة ويسرع بالأبتعاد وهو يعرج لكى يصرفها) اعط كل ما تملك للفقراء . هيا . ايها الصديق . تشجع ! قد يتألم جسمك لحظة ولكن روحك سوف تنعم بأنتصار الروح على الجسد (يستعد للطمه)

اندروكليز : رفقا به . فيروفيوس . رفقا ! لقد سبق لك ان هشمت فك الرجل الآخر .

لنتولوس : (يهم بالهرب وهو يصرخ رعباولكن فيروفيوس يقبض عليه دون رحمة)

فيروفيوس : اجل . ولكنى خلصت روحه ! ما اهمية كسر فك ؟

لنتولوس : اياك ان تلمسنى . أسامع انت ؟ القانون ...

فيروفيوس : القانون سيلقى بى غدا الى الأسود . ماذا يسعه ان يفعل شرا من ذلك اذا انا ذبحتك ذبحا ؟ صل التماسا للقوة ، تؤتاها !

لنتولوس : خل يدك عنى . دينك يأبى عليك ضربى !

فيروفيوس : لا . على العكس من ذلك ! انه يأمرنى بضربك . والا فلعمرى كيف تدير خدك الثانى اذا لم تضرب قبل ذلك على الخد الأول ؟

لنتولوس : (على وشك البكاء) ولكنى قد اقتنعت بأن ما فعلته حق . وأنا اعتذر عن ضربى اياك !

فيروفيوس : (وقد سر سرورا عظيما) يا بنى ! لعلى اكون قد رققت من قلبك ! عسى ان تكون البذرة الصالحة صادفت مكانا خصيبا ؟ ترى هل تنعطف بك قدماك الى صراط أقوى واهدى ؟

لنتولوس : (بحقارة) نعم . نعم . ان فى اقوالك الشيء الكثير !

فيروفيوس : (مبتهجا) انضم لنا اذن . تعال الى الأسود . تعالى الى العذاب والموت .

لنتولوس : (راكعا على ركبتيه ومجهشا بالبكاء) اواه . النجدة ! أماه . أماه !

فيروفيوس : هذه الدموع سترِوى روحك يابنى وستنبت فيها اطيب فاكهة ! ان الله تولى دائما بعظيم بركته جميع جهودى فى سبيل الهداية الى الايمان.

هل أبلغك نبأ معجزة ؟ نعم معجزة اتيت بها انا فى بلدة كابا دوتيا ؟ كان هناك شاب فى مقتبل العمر يشبهك تمام الشبه وله شعر مثل شعرك فى صفرة الذهب . مضى هذا الشاب يهزأ بى ويلطمنى على وجهى مثلما هزأت انت بى ولطمتنى .. فقضيت الليل كله متضرعا من أجل خلاص روحه .. ولما جن الصبح لم يكن هو قد صار مسيحيا فحسب بل ان شعره اضحى كالثلج بياضا (لنتولوس يقع فى اغماءة شديدة) لا بأس ! لا بأس ! خذوه من هنا . اجهده الروح القدس فلم يحتمل . مسكين ايها ايها الشاب . احملوه برفق الى بيته ودعوا ما بقى للسماء !

الجاويش : انقلوه الى منزله (الخدم . فى خوف . يسارعون فى حمله . ميتبلوس يهم بالسير وراءه ولكن فيروفيوس يضع يده على كتفه)

فيروفيوس : انت صديقه ايها الفتى . عليك ان تستوثق من وصوله الى بيته سالما .

فيتيلوس : (بأدب يملؤه الخوف) مؤكد يا سيدى .. سأفعل كل ما تراه أحرى ان يفعل .

انا فى أوج السعادة للتعرف بك . لا ريب فى ذلك . ويمكنك ان تتكل على .

عم مساء يا سيدى !

فيروفيوس : (يمسح على رأسه وبلطف) لتحل نعمة السماء عليك وعليه ! (ميتيلوس يسير فى اثر لنتولوس . الجاويش يأوى الى مقعده لكى يستعيد نومه الذى أقلق . يتولى بقية الجماعة رعب شديد . فيروفيوس وقد تنهد تنهيدة عميقة تشف عن راحة الضمير . يتوجه نحو لافينيا ويقدم لها يده) .

لافينيا : (وقد اخذت يده) هذه هى اذن وسيلتك الى هداية الناس. يافيروفوس ؟

فيروفيوس : نعم ! ولقد كان عملى مباركا دائما برغم تفاهتى وخطاياى التى تصدر عن حماقتى وسوء خلقى ... هذا الرجل (يشير الى اندروكليز)

اندروكليز : (متعجلا) لا تضربنى على ظهرى ايها الأخ . هى تعلم انك تعنينى !

فيروفيوس : كم اتمنى لو اننى كنت فى ضعف هذا الرجل !! اذن لأصبحت عدله رقة ودعه ! على انه رغم ذلك يبدو لى ان هناك عناية آلهية ترعانى . تجعل خطاياى اخف من خطاياه !

– انى لأسمع النبأ عن قيام الجماهير بالسخرية من اخواننا وتحقيرهم ورجمهم بالحجارة . ولكنى ما أكاد اظهر حتى يوقف هذا كله .. كان تأثيرى كافيا لأشاعة الهدو فى سورة الجموع – وكانوا ينصتون لى فى صمت .

ولكم كان الكفار يهتدون للايمان على اثر مناجاة قلب لقلب بينهم وبيني رأسا!

ــ كم اشعر فى كل يوم انى أوفر سعادة وأرسخ ايمانا ــ كل يوم يمر يخفف عن كاهلى وطأة الهول العظيم !

لافينيا : الهول العظيم ؟ ما هذا ؟

(فيروفيوس يهز رأسه دون أن يجيب ويجلس الى جانبها الأيسر (ويدفن وجهه فى يديه فى تأمل حزين) .

اندروكليز : الخلاصة كما ترين يا اختاه هى انه ليس شديد الثقة بنفسه ابدا فاذا فرضنا انه وهو واقف فى حومة القتال امام المصارعين الذين جاءوا لمنازلته تفوه احدهم فى اللحظة الأخيرة بلفظة نابية كدرته . فقد ينسى نفسه ويلقى بالمصارع خارج الحومة كلها !

لافينيا : حبذا لو أتى هذا العمل العظيم !

فيروفيوس : (يقفز مرعوبا) ماذا تقولين ؟

اندروكليز : مهلا يا اختاه !

فيروفيوس : حبذا ان اخون رئيسى وسيدى مثل ما فعل بطرس ؟ حبذا ان اقترف فى يوم امتحانى ما يأتيه أى عامى سافل ؟ ! ما انت بمسيحية يا امرأة ! (يبتعد عنها ذاهبا نحو وسط الميدان كما لو كان جوارها معديا له)

لافينيا : (ضاحكة) انت تعرف يا فيروفيوس انى لست دائما ملتزمة بالمسيحية ! ولا أحسب احدا كذلك .. هناك لحظات

أنسى فيها كل شيء عنها ويصدر عنى بشكل طبيعى جدا
امر مثل الذى حدث الآن ! .

سبنتو : ما الذى يهم ؟ اذا انت مت فى تلك الحلبة . فأنت شهيدة
لا محالة ! وكل الشهداء سيصعدون الى السماء مهما فعلوا .
هذا هو الصواب أليس كذلك يافيروفيوس ؟

فيروفيوس : نعم هو كذلك اذا نحن استمسكنا بأيماننا الى النهاية !

لافينيا : لست وثيقة الاعتقاد فى هذا !

سبنتو : لا تقولى ذلك . انه تجديف . لا تقولى قولا كهذا . اسمعى .
اننا سننال الخلاص مهما ساءت افعالنا !

لافينيا : ربما كنتم انتم معشر الرجال صاعدين جميعا الى السماء فى
شجاعة وانتصار رؤوسكم مرفوعة والأبواق الذهبية
تتجاوب اصواتها من اجلكم.
اما انا فأنى على ثقة من أنى لن يباح لى سوى ان اعتصر نفسى
اعتصارا حتى اتمكن من الأنسراب خلال ثقب بالباب بعد
ان اسأل الجميع الحافا ... فأنا لم اكن دائما ابدا طيبة . بل
لبضع لحظات فقط !

سبنتو : عبث ذلك الذى تقولين يا امرأة ! اسمعى . ان فى الاستشهاد
لتكفيرا عن جميع السيئات .

اندروكليز : نرجو ايها الأخ ان يكون ذلك صحيحا . من اجلك
انت ! لقد اسرفت فى اللهو زمنا . أليس كذلك ؟
ثم تهجماتك على المعابد ! لعمرى ما احسب الا ان السماء

تبعث على السأم الشديد لمن كان على شاكلتك (سبنتو يزمجر) لا تغضب . انما قلت ذلك على سبيل العزاء لك فيما اذا مت الليلة فى فراشك ميتة طبيعية .. فالطاعون متفش فى كل مكان !

سبنتو : (يقوم من مكانه ويجرى مهرولا فى رعب بالغ) ويحى . لم أفكر فى ذلك اطلاقا ! رباه ! اسألك ان تكتب لى ان اموت شهيدا . رباه ! يالها من فكرة خبيثة يلقيها اخ فى روع أخيه . رباه ! أقدر على ان استشهد اليوم . الآن . لا . بل سأموت فى الليل وألقى فى جهنم ! انت سحار . لقد ملأت قلبى بفكرة الموت . اواه ! عليك اللعنة . عليك اللعنة ! (يهم ان يمسك اندروكليز من خناقه)

فيروفيوس : (قابضا عليه بيد من حديد) ما هذا الذى تفعل . ايها الأخ؟ أغضباً وعنفاً ؟ هل ترفع يدك على اخ مسيحى ؟

سبنتو : الأمر هين عليك . لأن جسمك قوى واعصابك سليمة . اما انا فمثقل بالأمراض (فيروفيوس ينتزع يده منه بتقزز غريزى) لقد هدت الخمر كيانى ! وسأتقلب فى الأهوال الليل بطوله !

اندروكليز : (مشاركا اياه فى شعوره) ويحك : لاتسترسل فى الحزن الى هذا الحد يا اخى ! كلنا خطاه !

سبنتو : (يقف . محاولا الشعور بالحصول على شىء من التعزية) نعم ! بل انى لأجرؤ ان اقول انه لو كشفت السرائر لاتضح انكم كلكم لا تقلون عنى شرا !!

لافينيا : (بأحتقار) وهل تجد فى هذا عزاءك ؟

فيروفيوس : (بخشونة) صل ايها الرجل . صل !

سبنتو : ما انتفاعى بالصلاة ؟ اذا نحن استشهدنا فنحن صاعدون الى السماء . اليس كذلك ؟ سواء صلينا ام لم نصل ! ؟

فيروفيوس : ماذا تقول ؟ أثارك انت للصلاة ؟ (يمسكه ثانية) صل هذه اللحظة ايها الكلب . صل ايها الكلب القذر . ايها الثعبان الدنىء . ايها التيس المتوحش . صل . والا ....

سبنتو : اصنع ما بدا لك ! اضربنى . ارفسنى . أنا مسامحك . ضع ذلك نصب عينيك .

فيروفيوس : (يضربه برجله باحتقار) صعلوك (سبنتو يتخبط ويقع أمام فيروفيوس)

أندروكليز : (يقوم ويمسك رداء فيروفيوس) أيها الأخ العزيز — اذا لم يكن ثم مانع لديك وارضاء لخاطرى ...

فيروفيوس : أمرك ؟

أندروكليز : لا تطلق عليه أسماء الحيوانات . لسنا فى حل من أن نفعل ذلك . لقد كان لى من الكلاب أخلص الأصدقاء . وأن الثعبان الأليف لخير رفيق . ولقد ربيت أنا على لبن ماعزه . فهل فى شرعة الأنصاف أن يدعى مثل هذا المخلوق كلباً أو ثعباناً أو ماعزاً ؟

فيروفيوس : أنا لم أقصد إلا إلى كونها مخلوقات لا أرواح لها !

أندروكليز : (محتجاً بشدة) لا . صدقنى أن لها لأرواحاً . مثلك ومثلى

لا أحسبنى أرضى بالصعود إلى السماء إذا خلتها بغير حيوانات ! فكر فيما تعانيه هنا !

فيروفيوس : هذا صحيح ! نعم : هذا هو العدل . لابد لهم أن ينالوا قسطهم فى السماء .

سبنتو : (وقد لم شعثه وقبع على يسار فيروفيوس يضحك ساخراً)

فيروفيوس : (يلتفت نحوه بوحشية) ماذا تقول ؟

سبنتو : (خاراً على الأرض) لا شيء !

فيروفيوس : (قابضاً كفه) هل تصعد الحيوانات إلى السماء أم لا ؟

سبنتو : لم أقل أنها لا تصعد !

فيروفيوس : (بحنق شديد (هل هى تصعد أم لا) ؟

سبنتو : تصعد . تصعد ! (يجرجر نفسه بعيداً عنه) عليك اللعنة . لقد أفزعتنى ! (يسمع صوت نفير)

الجاويش : (مستيقظاً) انتباه ! إلى الصف كما كنتم . وأنتم أيها المساجين قفوا جميعاً وأسرعوا فى السير بنشاط (الجنود يلتزمون الطابور والمسيحيون يستوون واقفين)

(رجل حامل منخس ثيران يدخل راكضاً عبر قوس النصر الذى فى الوسط)

سائق الثيران : اسمعوا أيها الجنود ! افسحوا الطريق للامبراطور !

الجاويش : الامبراطور ؟ أين هو الامبراطور ؟ هل أنت هو الامبراطور ؟

سائق الثيران : هذه فرقة الاسطبلات ! قطيع الثيران التابع لى يجر عربة

الأسد الجديد لساحة الملعب .. افسحوا الطريق !

الجاويش : ماذا تعني هل نمشي نحن خلفك خلال التراب الذي تثيره أنت ونصف المدينة الذي يهرول في اعقابك وأعقاب أسدك ؟ كلا . هذا لا يليق . سنسير نحن في المقدمة !

سائق الثيران : فرقة الأسطبلات هي حاشية الأمبراطور الشخصية افسح الطريق آمرك !

الجاويش : أنت تأمرني . أنت ؟ اسمع إذن . سأعلمك شيئاً ! إذا كان الأسد ضمن فرقة الاسطبلات . فإن غذاء الأسد هو ضمن فرقة الاسطبلات أيضاً . وهؤلاء (مشيراً للمسيحيين) هم غذاء الأسد . إذن فارجع إلى الوراء . عُد لثيرانك سريعاً . وتعلم أين هو مكانك الصحيح .

(للجنود) سر ! (الجنود يبدأون المسير) وأنتم أيها ، المسيحيون امشوا . هناك !

لافينيا : (وهي سائرة) تقدموا يا بقية المائدة . أنا سأكون الزيتون والسردين الفاتحين للشهية !

مسيحي آخر : (ضاحكاً) وأنا الحساء !

ثالث : وأنا السمك !

رابـــع : أما فيروفيوس فهو الخنزير المشوى !

فيروفيوس : (ببلاده) نكتة في محلها ! . نعم . سأكون أنا الخنزير المشوى .

ها . ها . ها . (يضحك ببراءة ويمضي في أثرهم)

أندروكليز : (وهو يتبعهم (وأنا سأكون الفطيرة الشهية) تقابل كل نكتة بالضحكات العالية لأجل انطباقها على الحالة) .

الجاويش : (كمن رأى شيئاً فاضحاً) سكوت ! اتعظوا قليلا بموقفكم الذى أنتم فيه ! هل هذا مسلك يجمل بالشهداء ؟
(إلى سبنتو الذى يرتعد ويتبأطأ) أنا أعرف تماماً ما الذى ستكونه أنت فى تلك المائدة . ستكون المقىء ! (يدفعه بخشونة أمامه)

سبنتو : هذا أفظع من أن يحتمل ! أنا غير جدير بالموت !

الجاويش : انك لأقل جدارة بالحياة . أيها الخنزير ؟ ! ! !

يسيرون كلهم من الميدان نحو الغرب . الثيران التى تجر عربة كبيرة فوقها قفص خشبى داخله أسد تظهر خلال البوابة الوسطى .

— ستار —

الفصل الثانى

خلف مقصورة الامبراطور فى الملعب الكبير حيث يحتشد اللاعبون قبل دخول الحلبة فى الوسط ممر متسع يؤدى الى الحلبة هابطا من المسطح المبلط تحت المقصورة الامبراطورية على جانبى هذا المر ترتفع درجات من السلم الى مرسى عند المدخل الخلفى للمقصورة .

المرسى يشكل جسرا فوق المر .

عند مدخل المر توجد مرآتان ضخمتان من البرنز على كل جانب مرآه .

على الجانب الغربى للممر الى يمين كل قادم من المقصورة وواقف فوق الجسر يجلس الشهداء على السلالم .

لافينيا جالسة فى الوسط تفكر من يقابل الموت وجها لوجه الى يسارها جلس اندروكليز يسرى عن نفسه بمداعبة قطه .

فيروفيوس واقف خلفهما عيناه تشتعلان وجسمه متصلب وقد ظهر عليه تصميم قاطع فى أسفل السلم يقبع سبنتو قابضا على رأسه بيديه ممتلىء رعبا لقرب ساعة الاستشهاد ، على الجانب الشرقى للممر يرى المصارعون وقوفا أو جلوسا فى راحة ينتظرون مثل المسيحيين ، دورهم فى القتال احدهم ((ريتاريوس)) يكاد يكون عارى الجسد . وبيده شبكة وقضيب وثلاث شوكات .الثانى ((سيكوتور)) مدجج بالسلاح يمسك سيفا وعلى رأسه خوذة ذات فتحة يمكن قفلها لصيانة الوجه . رئيس المصارعين يجلس على كرسى غير بعيد عنهم .

الولد المنادى يدخل من المر .

الولد المنادى : نمرة ستة . ريتياريوس ضد سكيوتور .

المصارع حامل الشبكة يلتقطها . المصارع صاحب الخوذة يلبسها .

الإثنان يدخلان الحلبة . رامى الشبكة يتناول فرشاه صغيرة ويسوى شعره وهو يتقدم — الثانى يضيق أربطته ويهز كتفيه انطلاقاً . كل منهما ينظر لصورته فى مرآة قبل عبوره الممر .

لافينيا : أصحيح أن أحدهما سيقتل الآخر ؟

سينتـــو : نعم . فى حالة ما يثنى النظارة ابهاماتهم إلى أسفل —

رئيس المصارعين : أنت لا تدرى شيئاً عن ذلك . النظارة ! حقاً ! هل يبلغ بك الوهم أن تتصور أننا تقتل رجلا يبلغ ثمنه ألوف الجنيهات من أجل الغوغاء ؟ وددت لو ضبطت واحداً من رجالى يجرؤ على فعل ذلك !

سينتو : كنت أظن ....

رئيس المصارعين : (باحتقار) أنت تظن ؟ منذا الذى يعبأ بما تظن ؟ انك أنت الذى ستَرد الموت حتّى تشبع !

سنتـــو : (يئن ويغطى وجهه ثانية)

لافينيـــا : إذن فلن يقتل أحد سوانا نحن المسيحيين المساكين ؟

رئيس المصارعين : إذا العذارى العفيفات أومأن بابهاماتهن إلى أسفل . فهذا شىء آخر !

إنهن سيدات من الطبقة العليا !

لافينيـــا : هلا يتدخل الامبراطور فى الأمر أبداً ؟

رئيس المصارعين : طبعاً . يتدخل ! أنه يسرع يرفع ابهامه إلى أعلى فى عجلة إذا أرادت العذارى العفيفات قتل واحد من المصارعين المحبوبين لديه .

أندروكليز : ولكن ألا يحدث أبداً أن يتظاهر المتصارعون بقتل بعضهم بعضاً ثم يقفون عند هذا الحد ؟ ولم لا تدعون أنكم متم وتسحبون إلى خارج الحلبة كالأموات ثم تقومون بعد ذلك وتذهبون إلى بيوتكم كما يفعل الممثلون ؟

رئيس المصارعين : اسمع يا هذا ! ! ! أنت تريد أن تعرف أكثر مما ينبغى لك ! على كل حال لن يكون ثم سبيل إلى تمثيل مع الأسد الجديد . لعل فى هذا حسبك . فهو يتضور جوعاً .

ســـبنتو : (يئن من الرعب) يا الهى ! ألا يمكنكم الكف عن الخوض فى هذا الحديث ؟ اما كفانا ما نتجرعه من العذاب دونه؟

أندروكليز : أنا فرح بما به من جوع . ليس فرحى عن رغبة فى أن يتألم ذلك الحيوان المسكين ! ولكن لما سينال من فرط متاع عندما يفترسنى . إلا أن لكل شيء جانباً مشرقا !

رئيس المصارعين : (يقف ويمشى متجهاً نحو أندروكليز) كفى ! حسبك عنادا تعال معى . ألق بقطعة البخور على المذبح . هذا وحده كفيل برد حريتك إليك !

أندروكليز : كلا ! شكراً جزيلا جداً . حق الشكر . ولكن ما ينبغى لى أن أفعل هذا اطلاقاً !

رئيس المصارعين : ماذا ؟ ألا تريد النجاة بحياتك !؟

أندروكليز : لا أوثر النجاة .. لا أستطيع أن أقرب قرباناً إلى الآلهة « ديانا » إنها صيادة . كما لا شك تعلم . وهي تسرف في القتل !

رئيس المصارعين : لا تبتئس لهذا ! تستطيع أن تنتقى المذبح الذى تشاء ! قرب قرباناً للمشترى . أنه يأنس إلى الحيوانات . بل أنه ليحيل نفسه حيواناً فى أوقات فراغه !

أندروكليز : لا ! أنت تغمرنى بعطفك ولكنى أشعر أنه ليس فى وسعى النجاة بنفسى من هذا السبيل .

رئيس المصارعين : لا أطلب إليك فعل ذلك كى تنجو بنفسك بل سألتك فعله ارضاء لى أنا شخصياً .

أندروكليز : (ينتفض فى هياج شديد) حسبى ! لا تمض فى هذا القول أرجوك . إن الأمر رهيب — أنت تريد لى خيراً إلى درجة يبدو لى معها أن من الفظاظة البالغة أن أعصاك ! ولكن ! لو أنه كان فى مقدورك أن تهيء لى تقديم القربان فى معزل عن الناس لما همنى شيء — وأنما يجب على أن أسير إلى الحلبة فى زمرة الآخرين ... شرفى ! ومثلك يعلم !

رئيس المصارعين : شرفك !؟ شرف خياط !؟

أندروكليز : (معتذراً) عفوا . لعل كلمة « الشرف » عبارة فيها من المغالاة أكثر مما ينبغى . ولكنك لا ترضى أن تنال الخياطين سبة بسببى .

رئيس المصارعين : كم عساك تذكر من هذا كله لحظة تشم أنفك أنفاس الأسد وتتعلق عيناك بمخالبه بارزة تمزق عنقك شر ممزق ؟

سبنتو : (يهب واقفاً بصرخة ذعر) لا قبل لى بتحمل هذا ! أين هو المذبح ؟ سأقرب القربان !

فيروفيوس : أيها الكلب المرتد ! يا اسخريوط !

سبنتو : سأتوب فيما بعد توبة نصوحاً . أنا أعنى حقاً أن أموت فى الحلبة سأستشهد وسأصعد إلى السماء . ولكن ليس الآن . ليس فى التو واللحظة .. ليس قبل أن تصبح أعصابى أحسن حالا ! إلى جانب هذا . لا أزال بعد فى مقتبل العمر . أبغى فسحة من أجل واحدة أتمتع فيها ! (المصارعون يضحكون عليه) ويحكم ! أليس فيكم من يدلنى على مكان المذبح ؟ (يقتحم الممر ويختفى عن الأنظار) .

أندروكليز : (إلى رئيس المصارعين مشيراً إلى حيث ذهب سبنتو) أيها الأخ لا طاقة بى إلى عمل شىء كهذا ولو كان فيه مرضاتك ! فلا تسألنى فعله .

رئيس المصارعين : طبعاً ! إذا كنت قد عقدت العزم على الموت فلا قدرة بى على مساعدتك .. ولكنى ما كنت لأعدل عن رأيى من أجل خنزير كهذا

فيروفيوس : مهلا . مهلا ! لا تدخله فى تجربة ! واذهب وراءه أيها الشيطان !

رئيس المصارعين : (يشتعل غضباً) وددت لو دخلت الحلبة اليوم بنفسى

ولو مقابل فلس واحد كى أؤدبك على جرأتك فى التحدث إلى هكذا

فيروفيوس : (يقفز إلى الأمام) !

لافينيـــا : (تسرع بالقيام والتدخل) أيها الأخ ! أيها الأخ ! أنت ، تنسى ! ؟

فيروفيوس : (ضاغطاً على نفسه بمجهود جبار) اف لسوء خلقى وما يضمر من شر (إلى رئيس المصارعين بعد أن جلست لافينيا مطمئنة) سامحنى يا أخى ! كان الغضب يملأ قلبى . وكان الأحرى بى أن أفكر فى روحك العزيزة الغالية !

رئيس المصارعين : صعلوك ! (يدير ظهره لفيروفيوس باحتقار ويعود إلى مجلسه)

فيروفيوس : (مكملا) ولكن ذهنى خلا من كل تفكير سوى أن أقترح عليك منازلتى وأحدى يدى مشدودة إلى ظهرى !

رئيس المصارعين : (عائداً إليه بتجهم شديد) ماذا تقول ؟

فيروفيوس : (فى حالة وسط بين الحماسة والتوحش) تريث حذار أن تسلم قيادك للكبرياء والغضب أيها الأخ . الأمر على سهل . ميسور . لا بل أستطيع —

(يحول بينهما المشرف على الاسطبلات وقد دخل من الممر فى شدة الغضب) .

المشرف : حادث شنيع !!! من أطلق سراح ذلك المسيحى الذى جرى إلى عرين الأسد بينما كنا نهم بنقله إلى القفص المجاور للحلبه ؟

رئيس المصارعين : لا أحد ! هو الذى انطلق وحده .

المشرف : حسناً ! لقد افترسه الأسد !

(رعب شامل . يقف المسيحيون فى غضب شديد .
المصارعون يجلسون متصلبين ولكنهم فى أوج السرور .
الجميع يتحدثون أو يصيحون أو يضحكون مرة واحدة .
هياج .)

لافينيـــا : أواه ! يا للتعس المسكين !

فيروفيوس : لقى المرتد حتفه ! المجد لعدالة الله !

أندروكليز : كان الوحش المسكين يتضور من الجوع فلم يتمالك نفسه !

المسيحيون : ماذا ؟ افترسه ؟ يا للفظاعة يا للهول ! دون أن يظفر بلحظة توبة واحدة ! رحمه الله من خاطىء ! آواه ! لا أطيق تخيل ذلك ! بينما هو متردد فى خطيئته ! شنيع ! شنيع !

رئيس المصارعين : يستحق ما جرى له !

المصارعـــون : سعى إلى حتفه بظلفه . نعم. فعل . أنه إذن قد ضمن الاستشهاد وأكثر !

لافينيـــا : أيها الأسد الطيب العجوز ! ليس العهد بك أن تحب ذلك . أنظر إلى وجهه . الشيطان اسمح منه ! لكم سيضحك الامبراطور عندما يسمع هذا النبأ ....

أنا نفسى لا أتمالك من الابتسام ها . ها . ها !!!

المشرف : لم تبق للأسد شهية بعد الآن ! لن يتطلع إلى مسيحى آخر إلا بعد أسبوع كامل .

أندروكليز : ألم يكن فى وسعك انقاذه أيها الأخ !

المشرف : انقاذه ؟ انقاذه من بين براثن أسد جن من الجوع ؟ أسد ضار لم يغادر الغاب إلا منذ أربعة أسابيع ؟ لقد انقض عليه فألتهمه قبل أن يرتد طرفنا !

لافينيا : (وقد جلست ثانية) مسكين أنت يا سبنتو ! ولربما ضن عليك أن يحسب ذلك لك استشهاداً !

المشرف : يستحق ما جرى له ! ما الذى دعاه إلى مهاجمة أسد من أسودى قبل أن يطلب منه ذلك ؟

أندروكليز : لعل الأسد يعزف عن افتراسى أنا الآن !

المشرف : نعم نعم ! هذه هى حقاً شيمة المسيحى ! لا تفكر إلا فى نفسك ! لكن ويحى ! ماذا عساى أصنع أنا ؟ ماذا عساى أقول للامبراطور عندما يرى أسداً من أسودى يدخل الحلبة وهو نصف نائم ؟

رئيس المصارعين : لا تقل شيئاً ! اسق أسدك العجوز كأس خمر مرة المذاق ، ومعها قطعة من سمك مشوى تتفتح شهيته فوراً (ضحك)

المشرف : نعم . ما أيسر الكلام عليك . ولكن —

رئيس المصارعين : (ينتقض واقفاً) ش ! ! انتباه ! الامبراطور !

(المشرف يقفز بسرعة إلى الممر . المصارعون يقفون بأدب
(وينتظمون فى صف . يدخل الامبراطور من جوار
(المسيحيين يتحدث مع ميتيلوس تتبعه حاشيته وراءه .

رئيس المصارعين : مرحباً بقيصر ! الذين على شفا الموت يهدونك التحية !

قيصر : طاب يومكم أيها الأصدقاء !

(ميتيلوس يهز يد المشرف الذى يتقبل تنازله باحترام مزيف)

لافينيا : لك البركة . قيصر . والغفران !

قيصر : (متلفتاً بدهشة نحو التحية) لا غفران للمسيحية !

لافينيا : لم أقصد ذلك . قيصر . بل قصدت الغفران منا لك !

ميتيلوس : حرية تجاوزت حدود الخيال . ألا تعلمين أيتها المرأة أن الامبراطور منزه عن الخطأ . فهو إذن فوق الغفران ؟

لافينيا : أعتقد أن الامبراطور هو أدرى ! على أى حال نحن نستغفر له !

المسيحيون : أمين !

قيصر : ميتيلوس . أنك لترى الآن مساوىء الشدة عندما تتجاوز الحد . هؤلاء القوم فقدوا كل أمل . ولذا لم يبق لديهم ما يثنيهم عن أن يقولوا لى ما يشاؤون ! لقد أصبحوا يضارعون المصارعين فحشا ووقاحة ! أين هو ذلك اليونانى السحار ؟

أندروكليز : (لامسا شعره بخضوع) أنا يا صاحب الجلالة !

قيصر : أنا صاحب الجلالة !؟ حسناً . هذا لقب جديد! والآن ما هى المعجزات التى تستطيع أن تأتى بها ؟

أندروكليز : أستطيع شفاء البثور بأن أحكها بطباشير الحياطة وأستطيع أن أساكن زوجتى دون أن أضربها !

قيصر : هل هذا هو كل ما عندك ؟

أندروكليز : أنك لا تعرفها يا قيصر . والا ما قلت ذلك !

قيصر : أبشر إذن يا صديقى فأننا سنهىء لك خلاصاً سعيداً منها ! أين هو فيروفيوس ؟

فيروفيوس : أنا هو !

قيصر : أبلغونى أن بك قدرة على القتال .

فيروفوس : القدرة على القتال ميسورة . إن بى قدرة على أن أموت يا قيصر .

قيصر : ولكن ذلك أهون وأيسر أليس كذلك ؟

فيروفيوس : ليس لى يا قيصر ! ان الموت يجد الطريق إلى جسدى وعراً ولكن القتال يجد السبيل إلى نفسى معبداً كل التعبيد (يضرب صدره حزناً) ويلى ! ما أثقل خطاياى ! (يلقى بنفسه فوق السلم وقد أخذ منه اليأس كل مأخذ)

قيصر : ميتيلوس . أود أن يلحق هذا الرجل بفرقة الحرس الخاص !

ميتليوس : أنا لا أنصح بهذا يا قيصر . تبدو عليه سيماء الشرس

الشكس. من الناس من يستحيل أن تجد فى محضرهم أثراً لمرح ! هم أشبه شيء بضمائر تمشى على الأرض .. إنه كفيل بأن يحيلنا كلنا أمة من البؤساء .

قيصر : لعل هذا هو السبب الأقوى الذى أوثر من أجله اختياره ! لا يتسنى لأى امبراطور على الأرض أن يجد عدداً من الضمائر يربو على حاجته (لفيروفيوس) اصغ إلى يا فيروفيوس (فيروفيوس يهز رأسه ويأبى أن ينظر) أنت وأصحابك لا يزيد اليوم عدد الذين يصارعونكم فى الحلبة عن عددكم أنتم . وستمدون جميعاً بالسلاح . ولن ينازل المسيحى الواحد سوى مصارع واحد . فإذا خرجت من الحومة حياً فسأولى بالرعاية كل رجاء ترجوه وسأمنحك منصباً فى فرقة الحرس الخاص — حتى وإذا فرض أنك طلبت أن لا يثار جدل ما حول دينكم فأنى قد لا أرفض ذلك أيضاً !

فيروفيوس : لا . لن أقاتل ! سأموت ! .. خير لى أن أقف مع الملائكة الأبرار من أن أقف فى صفوف الحرس الخاص !

قيصر : لا يمكننى أن أصدق أن الملائكة كائناً ما كانوا . لا يؤثرون الالتحاق بالحرس الخاص ! على أية حال . ليكن ماتشاء .. هيا بنا إلى الملعب . .

(فى الوقت الذى تصعد فيه الحاشية السلم . يعود سكيوتور (وريتاريوس من الحلبة عبر الممر . سكيوتور معفر الوجه وشديد الغضب بينما ريتياريوس يضحك) .

سكيوتور : هذا هو الامبراطور ! الآن سنرى ! يا قيصر . أبى أحتكم إليك . هل من الانصاف أن ريتاريوس . بدلا من أن يلقى شبكته على القاء سليما يعمد إليها فيرمى بها على الأرض ثم يلقى بالتراب العالق بها فى عينى كى يمسك بى وقد عميت ؟ لعمرى لولا أن العذارى أشرن بأبهاماتهن إلى أعلى لكنت الآن فى عداد الأموات !

قيصر : (صاعداً السلم) ليس فى القواعد ما يحرم ذلك !

سكيوتور : (غاضباً) يا قيصر . هل هى حيلة خبيثة . أم ليست كذلك ؟

قيصر : هى عمل غير نظيف ! (ضحكة مجاملة) خذ حذرك فى المرة القادمة !

سكيوتور : فليأخذ هو حذره ... فى المرة القادمة سأرمى بسيفى فى عقبيه وأخنقه فى شبكته ولما يتمكن من القفز (إلى ريتياروس) سترى بنفسك إذا كنت أفعل ذلك أم لا ! (يخرج ماراً أمام المصارعين عابساً ثائراً !)

قيصر : (إلى ريتاريوس وهو يضحك بلا صوت) هذه الحيل ليست من الرشد فى شىء يا صديقى .. النظارة يحبون أن يشهدوا الميت فى أوج جماله وجلاله. إذا أنت لوثت وجهه وشوهت درعه فسيظهرون استياءهم بأن يحولوا بينك وبين قتله . وعندما تدور الدائرة عليك سوف يذكرون لك سيئتك ويشيرون بأبهاماتهم إلى أسفل !

ريتياروس : لعل هذا هو السبب فيما فعلت يا قيصر ! كان قد راهنى

على عشرة دراهم أن سينتصر على . فإذا أنا قضيت على حياته فلن أقبض الرهان !

قيصر : (يضحك مسروراً) أيها الحبثاء ! ليس لكيدكم من آخر ! سـوف أقيلكم جميعاً وأءتى بأفيال يتقاتلون مكانكم . إنهم يتقاتلون وهم عدول شرفاء ! (يصعد إلى مقصورته ويطرق بابها ، تفتح من الداخل بواسطة الضابط الذى يقف جانباً كأنه فى الصف لكى يفسح لقيصر بالمرور)
(الصبى المنادى يأتى من الممر يتبعه ثلاثة خدم يحملون على (التوالى حزمة من السيوف ويضع خوذات وبضع دروع يلقون بها فوق بعضها)

الصبى المنادى : بأذنك يا قيصر ! الرقم أحد عشر . مصارعون ومسيحيون ! (فيروفيوس ينتصب واقفاً متأهباً للأستشهاد . بقية (المسيحيين يتلقون النداء على قدر احتمالهم : البعض فرح (شجاع . والبعض وقور صبور . والبعض يبكى فى (يأس وقنوط وقد أخذ فريق فى تقبيل الفريق الآخر فى (تأثر بالغ .

(الصبى يعود ثانية إلى الممر) .

قيصر : (مستديراً بوجهه بباب المقصورة) أزفت الساعة يافيروفيوس . انى داخل مقصورتى لكى أشهد مقتلك جزاء لك على ازدرائك للحرس الخاص (يدخل المقصورة ويغلق الضابط الباب لابثاً فى الداخل مع الامبراطور)

(ميتيلوس وبقية الحاشية يتفرقون فى مجالسهم . المسيحيون يتقدمهم فيروفيوس يتحركون نحو الممر .)

لافينيـــا : (لفيروفيوس) الوداع : !

رئيس المصارعين : قفوا هنا ! أيها المسيحيون لا مندوحة لكم عن القتال . تلك هى أسلحتكم تقلدوها !

فيروفيوس : (ينتقى سيفاً) سأموت والسيف فى يدى كيما أشهد الناس على أن لى قدرة على القتال إن كانت تلك هى إرادة مولاى كما أن لى قدرة على قتل من يبغى قتلى إذا أردت أنا ذلك

رئيس المصارعين : تقلد درعك .

فيروفيوس : لا حاجة بى للدرع .

رئيس المصارعين : (زاجراً إياه) افعل ما تؤمر ! ضع هذه الدرع !

فيروفيوس : (وقد قبض على السيف وبدا خطيرا) قلت لا درع !

رئيس المصارعين : وماذا عساى أقول إذا اتهمت بأنى أدخلت حومة القتال رجلا بلا درع لينازل رجلا من رجالى تحيط به درع واقية ؟

فيروفيوس : اقرأ صلاتك أيها الأخ ولا تخش الرؤساء الذين على الأرض

رئيس المصارعين : أف لك من أحمق عنيد ! (يعض شفتيه فى تردد شديد غير عارف ماذا يصنع)

أندروكليز : (لفيروفيوس) وداعاً أيها الأخ إلى أن نلتقى فى مستقبل سعيد !

رئيس المصارعين : (لأندروكليز) انت ذاهب كذلك . خذ لك سيفاً وضع أية درع تجدها صالحة لك .

أندروكليز : لا . أبداً . لا قدرة بى على القتال ولا سبق لى قط أن فعلت . ليس فى وسعى أن أحمل نفسى على أن تكره أحداً كرهاً بالغاً . فليلق بى إلى الأسود مع هذه السيدة !

رئيس المصارعين : إذن فأخل الطريق وابطل الضجيج (أندروكليز يخطو جانباً فى طاعة وبشاشة) والآن ! هل أنتم هناك جميعاً مستعدون؟

(يسمع صوت نفير من الحلبة)

فيروفيوس : (يجفل بتشنج) لتمدنى بالقوة السماء ! !

رئيس المصارعين : ها . ها . ها ! لقد أرعبك هذا . أليس كذلك ؟

فيروفيوس : أيها الرجل ! أنا لا يفزعنى فى العالم شىء كما يفزعنى هذا الصوت ! لا أكاد أسمع نفخ بوق ولا قعقعة طبل ولا صليل سيف ولا دوى منجنيق تتطاير حجارته الضخمة فى الهواء إلا تطايرت النيران فى عروق وأحسست بدمى يضطرب وراء عينى .. لا مفر لى من أن أضرب . لامندوحة لى من أن أطلق النار — ولابد لى أن أغلب وأقهر .. إن قيصر نفسه لن يأمن على نفسه فى مقصورته الامبراطورية لو قدر مرة لشيطانى أن يتسلط على .

إلى أيها الأخوة .. هلموا اقرأوا صلاتكم أتزود منها بموعظة . ذكرونى بأنى إذا أنا رفعت سيفى — أزريت بشرف . ويصلب سيدى من جديد !

أندروكليز : فكر ملياً فى قسوة الألم الذى سيصيب المصارعين على يديك

فيروفيوس : ليس فى موت الإنسان ألم له !

لافينيـــا : الإيمان وحده هو الذى فيه خلاصك . لا شىء سواه !

فيروفيوس : الإيمان ! أى ايمان ؟ هناك ايمانان ! ايماننا نحن المسيحيين وايمان المقاتلين . الإيمان بالقتال . الايمان الذى يرى الله فى السيف وحده ! كيف تكون الحال إذا سيطر إيمان كهذا على ؟

لافينيـــا : ستهتدى إلى ايمانك الحق فى ساعة التجربة !

فيروفيوس : هذا هو الذى أخشاه ! الذى أعرفه هو أنى مقاتل . فكيف يتسنى لى أن أستوثق بأنى مسيحى ؟

أندروكليز : الق بسيفك بعيداً . يا أخى !

فيروفيوس : لا أستطيع ! أنه ملتصق بيدى .. أيسر على أن ألقى من بين ذراعى امرأة أهيم بها ! (جافلا) رباه ! منذا الذى نطق بهذا التجديف ؟ لست أنا ! ! !

لافينيـــا : لست قادرة على مساعدتك أيها الأخ ولا مستطيعة أن أطلب إليك أن تخلص نفسك ! بيد أن بى رغبة ملحة فى أن أراك تفتح بالسيف طريقك إلى السماء !

فيروفيوس : واحيرتاه !

اندروكليز : ولكن اذا كنت سترتد عن ديننا ايها الأخ . فلم لا تنفذ ذلك من غير ايذاء احد ؟ هيا واحرق البخور !

فيروفيوس : أحرق البخور ؟ هذا محال !

لافينيا : ليس هذا الا محض كبرياء يا فيروفيوس !

فيروفيوس : محض كبرياء ؟ وهل هنالك ما هو أنبل من الكبرياء ؟
(معذب الضمير) ويحى ! هأنذا انحدر الى الخطيئة !
أأفخر بكبريائى ؟

لافينيا : يقولون عنا . نحن المسيحيين . أننا أشد الشياطين كبرياء
على الأرض – وأن ليس ثم وادعون الا الضعفاء فحسب .
ويلى ! انى لشر منك مكانا . فى الوقت الذى ينبغى فيه
على أن أعينك على احتمال الموت . هأنذا أسلمك للأغراء !

اندروكليز : اخى . اخى . ذرهم هم للغضب والحقد وسفك الدماء .
أما نحن فللأستبسال والمقاساه . عليك أن تسير كما يسير
الحمل الى الذبح !!

فيروفيوس : أجل . أجل .. ان هذا لصحيح ولكن لا كما يذبح
الجزار – الحمل بل كما يرتضى الجزار لنفسه ان يذبحه
حمل غبى (ناظرا الى رئيس المصارعين) وهو قادر
على ان يطيح برأسه فى لية واحدة !
(قبل ان يتمكن رئيس المصارعين من الرد . يدخل
الصبى المنادى مسرعا عبر الممر كما يخرج الضابط من
مقصورة الأمبراطور ويهبط السلم .

الصبى المنادى : هلموا . ادخلوا الحلبه . المسرح خال !

الضابط : الأمبراطور ينتظر (الى رئيس المصارعين) بم تحلم
ايها الرجل ؟ ارسل رجالك فى الحال .

رئيس المصارعين : سمعا وطاعة ! .... اولئك المسيحيون يتلكأون !

فيروفيوس : (فى صوت كالرعد) كذاب !

رئيس المصارعين: (غير ملق إليه بالا) تقدموا (المصارعون الذين وقع عليهم الدور لمنازلة المسيحيين يتزلون عبر الممر) اتبعوهم انتم هناك !

المسيحيون : (اذ هم يفترقون عن بعض) الثبات يا اخى ووداعا —

(رجال ونساء): استمسك بالأيمـــان يا اخى الوداع — سر الى المجد . اخى الوداع . تذكر اننا ندعو لك دائما . الوداع — تقو أخى ووداعا — لاتنس ان المحبة الألهية ومحبتنا يحيطان بك . الوداع — لا شىء يستطيع الاضرار بك . اذكر ذلك دائما ووداعا — المجد الأزلى لك يا اعز من فى الوجود. والوداع !

رئيس المصارعين : (وقد نفذ صبره) ادفعوهم الى الداخل انتم هناك ! (بقية المصارعين والصبى المنادى يتحركون نحوهم)

فيروفيوس : (متدخلا) حذار ان تمسوهم أيها الكلاب والا فنحن ميتون هنا ومفسدون على الوثنيين احتفالهم (لزملائه المسيحيين) أيها الأخوة ان اللحظة الرهيبة قد أقبلت . هذا الممر هو ابجهل الذى تصعدون فيه لعذاب كعذاب المسيح فوق الصليب ! اصعدوا شجعانا ولكن فى دعة ولطف . وتذكروا : لا كلمة نابية واحدة . لا زفرة ألم . لا حركة مقاومة . وهيا سيروا (يخرجون عبر الممر . يلتفت نحو لافينيا) الوداع !

لافينيا : أنت تنسى أنى لا معدى لى عن اللحاق بك قبل أن يبرد دمك؟

فيروفيوس : نعم هذا حقيقى . لا تحسدينى لأنى اتقدمك الى المجد (يسير خلال الممر).

رئيس المصارعين : (للصبى المنادى) يا له من عمل مسم مسقم ! لم لا يلقون بهم للأسود دفعة واحدة ؟ ليس هذا فعلا جديرا بالرجال !
(يلقى بنفسه مهموما على كرسيه)
(المصارعون الباقون يعودون الى اماكنهم السابقة دون اكتراث الصبى يهز كتفيه ثم يجلس القرفصاء الى جانب رئيس المصارعين لافينيا والسيدات المسيحيات يجلسن ثانية وقد غمرهن حزن شديد . البعض منهم يبكين فى صمت والبعض يصلين والبعض الآخر ساكنات صامدات.
(اندروكليز يقعد عند قدمى لافينيا)
(الضابط يقف على السلم يراقبها باهتمام) .

اندروكليز : كم سررت بأفلاتى من القتال . لولا ذلك لأصبح استشهادى مخيفا هائلا . انى لمحظوظ .

لافينيا : (ناظرة اليه نظرة ملأى بوخز الضمير) اندروكليز ! احرق البخور سيغفر لك وليكن فى موتى انا تكفيرا عن كلينا . أنى أحس كما لو كنت أنا التى اقتلك .

اندروكليز : لا تفكرى فى يا اختاه . فكرى فى نفسك وسيثبت ذلك فؤادك . (الضابط يضحك ضحكة تهكمية)

لافينيا : (جافلة لأنها كانت قد نسيت وجوده) اواقف انت هنا ايها الفارس الوسيم ؟ هل قدمت لتشهدنى وانا اموت ؟

الضابط : (وقد جاء الى جانبها) انا فى نوبة واجبى مع الأمبراطور يالافينيا .

لافينيا : وهل من بعض واجبك الضحك علينا ؟

الضابط : لا . هذا من بعض مسرتى الشخصية . ان صديقك هذا خصب الفكاهة . لقد ضحكت على قوله لك (فكرى فى نفسك وسيثبت ذلك فؤادك) اما أنا فأقول (فكرى فى نفسك واحرق البخور) .

لافينيا : لم تكن فكاهة . بل كان يقول حقا . ينبغى عليك ايها الضابط ان تدرك ذلك . فلطالما لقيت الموت وجها لوجه .

الضابط : لم اكن ألقى موتا محتوما . يا لافينيا . انما كنت التقى بالموت فى ميدان القتال . والموت فى ميدان القتال يذر من الأحياء اكثر مما يذر الموت فى المخادع . لكن الذى ستواجهينه انت هو موت مؤكد محتوم ! لم يبق لك الآن الا ايمانك بذلك الهوس الذى تعتنقين . لعمرى هل اساطيركم المسيحية اصدق مثقال خردلة من اساطيرنا عن « المشترى » وعن « ديانا » ؟ تلك الأساطير التى أصدقك القول ان ما بى من الشك فيها لا يقل عما لدى الأمبراطور نفسه . ولدى كل رجل مثقف فى روما كلها .

لافينيا : ايها الضابط . كل هذا لا وزن له عندى الآن ! لا اقول ان الموت شىء رهيب . بل أقول انه شىء حقيقى محتوم

الى درجة أنه ما ان يدنو منا حتى تنجاب كل تلك الخزعبلات — كل تلك الأساطير كما تدعونها — لا تعود تصبح الى جانب ذلك الشيء الحقيقي المحتوم غير اضغاث احلام .. وأنا أصبحت أعرف الآن انى لا أموت فى سبيل الأساطير ولا فى سبيل الأحلام ... هل سمعت نبأ الحادث الشنيع الذى وقع الآن ونحن واقفون ؟

الضابط : سمعت أن أحد زملائكم هب هبة ألقت به بين مخالب الأسد . لقد ضحكت . ولا زال اضحك .

لافينيا : اذن فأنت لم تدرك لذلك من معنى ؟

الضابط : معنى ذلك ان الأسد قد التهم فى افطاره جبانا رعديدا !

لافينيا : اكبر من ذلك بكثير ! معنى ذلك ان الأنسان ليس فى مقدوره ، أن يموت من أجل اسطورة أو حلم ! لم يكن بيننا من هو أرسخ ايمانا بالأساطير وبالأحلام من ذلك المسكين «سبنتو» ولكنه لم يقو على مواجهة ذلك الشيء الحقيقي المحتوم ! ثم ان ذلك الذى دعاه ايمانا كان ينساب منى انا دقيقة إثر دقيقة بينما كنت جالسة هناك . والموت يقترب خطوة إثر خطوة والشيء الحقيقي المحتوم يزداد حقيقة وحتمية بينما مضت الأساطير والأحلام تتضاءل وتتضاءل حتى انتهت الى لا شيء !

الضابط : فأنت اذن تموتين من أجل لا شيء ؟

لافينيا : أجل ! وهذا هو الذى يدعو الى العجب حقا ! فيما ان

بجميع الأساطير والأحلام قد ولت فلم يعد لدى الآن من شك أبداً فى انى انما ينبغى على أن أموت فى سبيل شىء اعظم ، واسمى من الأساطير ومن الأحلام !

الضابط : ولكن ما هو.؟

لافينيا : لا اعلم !.. لو أنه كان من الصغر بحيث أحيط به علما لكان من الصغر بحيث لا يستأهل الموت فى سبيله ! انى لأخال انى سأموت فى سبيل «الله» فليس ثم حق سواه جدير بأن نموت فى سبيله !

الضابط : ما هو الله ؟

لافينيا : عندما نعلم ذلك ايها الضابط نصبح نحن آلهة !

الضابط : لافينيا ! تعالى !! اهبطى الى الأرض . احرقى البخور وتزوجينى !

لافينيا : ايها الضابط الجميل .. هل ترضى به زوجة اذا انا ألقيت يوم الموقعة بالعلم على الأرض ثم جئت واحرقت البخور ؟ الابناء وارثون خصال امهاتهم كما تعلم ! فهل تريد لابنك ان يولد جبانا ؟

الضابط : (متأثرا بشدة) قسماً بديانا العظيمة . لقد كنت افكر فى قتلك اذا كنت استسلمت فى الحال .

لافينيا : (واضعة يدها على رأس اندروكليز) أمر الله غالب علينا نحن الثلاثة أيها الفارس !

الضابط : ما اسخف كل تلك الأباطيل ! اى شىء هو افظع من

أن تموتى فى سبيل أباطيل كتلك بينما أنظر أنا اليك عاجزاً..
بينما روحى كلها تصرخ ولهى غاضبة ! لتموتن اذن ان لم
يكن من الموت بد ولكن اقل ما سأفعل عندما أرى دمك
يراق .. هو ان أدق – عنق الأمبراطور ثم أدق عنقى
من بعده !

(الامبراطور يفتح باب مقصورته فجأة ويقف فى
غضب شديد على عتبتها)

(رئيس المصارعين والصبى المنادى والمصارعون كلهم
يهبون واقفين على أقدامهم)

الأمبراطور : المسيحيون يأبون ان يقاتلوا . وكلابكم الجبناء غير
قادرين على اهاجتهم وحملهم على القتال . العلة كلها من
ذلك الرجل ذى العينين الملتهبتين . ارسلوا فى طلب
الكرباج (الصبى المنادى يهرع نحو الجانب الشرقى
لأحضار الكرباج) فاذا عجز الكرباج عن ان يحركهم
فأتوا بقضبان الحديد المحمى . ان ذلك الرجل اشبه بجبل .

(يعود ثائرا الى مقصورته ويغلق بابها من الداخل)

(الصبى المنادى يعود ومعه عملاق يضع على وجهه قناعا
اسود ويمسك بكرباج) .

(كلاهما يسرعان عبر الممر الى حومة القتال)

لافينيا : (تقف) . اواه ! هذا هو الامتهان ! الا يمكنهم قتله
دون ان يهدروا كرامته ؟

اندروكليز : (يهب واقفا على قدميه ويجرى الى المكان الواقع بين

السلام (.امر شنيع ! الآن . تملكتني ارادة القتال . لا إطيق احتمال النظر الى الكرباج . المرة الوحيدة فى حياتى انى لطمت فيها رجلا كانت عندما ضرب بالسوط جوادا عجوزا . كان حادثا فظيعا : لقد رقصت فوق وجه ذلك الرجل بينما هو ملقى على الأرض .. لا . ليس له ان يجلد فيروفيوس ابدا — سأدخل الحلبة واقتله قبل ذلك (يهجم هجمه وحشية داخل الممر . بمجرد أن يفعل ذلك تسمع ضجة عنيفة من جهة الحلبة يتلوها تصفيق حاد . المصارعون ينصتون وينظرون الى بعضهم فى تساؤل)

رئيس المصارعين: ماذا هناك ؟

لافينيا : (للضابط) مااللذى حدث فيما تظن ؟

الضابط : ماذا يمكن أن يحدث ؟ انهم يشبعونهم تقتيلا فيما أرى !

اندروكليز : (داخلا من الممر فى عجلة يصرخ مرتعبا وقد اخفى عينيه) !

لافينيا : اندروكليز . اندروكليز . ما الذى جرى ؟

اندروكليز : أواه ! لا تسألينى . لا تسألينى . شيء أشنع من كل شنيع . أواه . (يقبع الى جانبها ويخفى وجهه فى ثيابها ويبكى فى تشنج) .

الصبى المنادى : (يدخل جاريا من ناحية الممر كالمرة السابقة) انتم هناك ! احضروا حبالا؟وخطاطيف .. حبال وخطاطيف !

رئيس المصارعين : عجبا ! هل فى هذا ما يدعو الى أثارتكم (ضجة استحسان ثانية) .

(يسرع بالدخول عبدان على وجه كل بنهما قناع اسود ومعهما حبال وخطاطيف للجر) .

أحد العبدين : كم عدد الموتى ؟

الصبى المنادى : ستة . (يصفر العبد مرتين فيسرع بالدخول أربعة عبيد اخرين مقنعين يحملون نفس الأجهزة ويتوجهون نحو الحلبة). واين السلة ؟ احضروا السلات (يصفر العبد ثلاث مرات ويجرى عبر الممر مع زميله)

الضابط : لمن هذه السلات ؟

الصبى المنادى : لأجل الكرباج . لقد تمزق اربا . بل كلهم مزقوا أربا . إن كثيرا أو قليلا (لافينيا تخفى وجهها) .

(عبدان مقنعان اخران يدخلان حاملين سلة ويتبعان ، الاولين الى الحلبة) .

(بينما يعود الصبى المنادى الى المصارعين ويصيح وقد انهكه التعب) .

ايها الفتيان . لقد قضى على الجميع !

الامبراطور : (يخرج مرة ثانية من مقصورته لكنه هذه المرة فى أوج الفرح) أين هو ؟ رائع ! لا بد ان يمنح تأجا من الغار

فيروفيوس : (يهجم عبر الممر فى بأس وهو يلوح كالمجنون بسيفه المخضب بالدماء ويدخلى فى اثره زملاؤه فى الدين ثم

المشرف على الأسطبلات الذى يذهب رأسا الى المصارعين
(المصارعون يجردون سيوفهم فى عصبية)

فيروفيوس : ويلى ! هلكت هلاكا ابديا ! عصيت مولاى وسيدى . هيا اقطعوا هذه اليد . انها ظالمه . سيوفكم فى ابديكم أيها الأخوة اضربوا !

لافينيا : لا ! لا ! ما الذى فعلت يا فيروفيوس ؟

فيروفيوس : لست ادرى ! سوى أن دماء كانت تضطرب خلف عينى . والآن تضطرب الدماء فوق سيفى . فماذا يعنى هذا ؟

الامبراطور : (بحماس شديد على عتبة المقصورة من الخارج) ماذا يعنى هذا ؟ يعنى انك أعظم رجل فى روما . يعنى أنك ستمنح تاج الغار مطرزا بالذهب ! أيها المحارب الجبار ! لقد كدت ان أسلمك عرشى ! انك وسمت عهدى بأسمى وسام . وخلدتنى فى التاريخ ! حدث مرة فى عهد الامبراطور دوميتيان أن ذبح أسير من الغال ثلاثة رجال فى الحلبة فنال بذلك فكاكه من الأسر . ولكن متى حدث قبل الآن أن ذبح رجل غير مدرع ستة رجال مدرعين من أشجع وابرع من حملوا السيوف ؟ الا فليبطل الأضطهاد منذ الآن ! اذا كان المسيحيون يحسنون القتال كما يحسنه هذا البطل فلن استخدم فى حروبى غير المسيحيين .
(ثم الى المصارعين) أنتم مأمورون بأن تنقلبوا مسيحيين فى الحال . انتم هناك ! هل انتم سامعون ؟

ديتياريوس : الأمر سواء لدينا . يا قيصر ! بيد أني لو كنت هناك ومعي شبكتي إذن لتغير وجه القصة تماماً.

الضابط : (ممسكا بغتة بمعصم لافينيا وساحباً إياها فوق السلم قرب الأمبراطور) قيصر ! إن هذه المرأة شقيقة فيروفيوس فإذا هي ألقيت إلى الأسود ، كدره ذلك وأضر به . وبدل حاله !

الأمبراطور : الأسود ؟ هراء ! (إلى لافينيا) أيتها السيدة . أنا مزده بشرف معرفتك . إن شقيقك هو فخار روما كلها !

لافينيا : ولكن أصدقائى هؤلاء . هل هم لا محالة ميتون ؟

الامبراطور : أبداً ! لم يكن هناك أقل تفكير فى إيذائهم .. أيتها السيدات وأيها السادة أنتم جميعا أحرار طلقاء . تفضلوا بالتقدم نحو واجهة البيت لتمتعوا أعينكم بالمشهد الذى ساهم أخوكم فيه أجل مساهمة. أيها الضابط . يسرنى أن ترشدهم إلى المقاعد المحجوزة للحاصة من أصدقائى .

المشرف : يا قيصر . لا مندوحة لى عن القاء مسيحي واحد للأسد . لقد وعد الشعب بذلك وإذا هو أخلف فسيبيد الزينات عن آخرها .

الأمبراطور : صحيح ! صحيح ! لا بد لنا من شخص للأسد الجديد !

فيروفيوس : ألقوا بى اليه . دعوا الكافر الأثيم يلق قصاصه !

الأمبراطور : لا . لا . أنت لا ريب مقطعه أشلاء يا صديقى ! ونحن لايسعنا أن نفرط فى الأسود كما لو كانوا مجرد عبيد !!.

ولكن لا مفر لنا من تضحية فرد ما . هذا فى الحق مشكل عريض !

المشرف : لم لا يكون ذلك الفتى الأغريقى هو الضحية ؟ . هو ليس بمسيحى . إنه سحار !

الأمبراطور : أصبت القول . هو الذى يصلح لذلك !

الصبى المنادى : (خارجا من الممشى) رقم إثنا عشر ! المسيحى للأسد الجديد !

أندروكليز : (يقف متحاملا على نفسه فى حزن) حسنا ! ذلك ما كان واقعا على كل حال !

لافينيا : سأذهب أنا بديلة منه يا قيصر . سل الضابط فلعلهم يؤثرون رؤية أنثى تمزق أمام أعينهم كل ممزق .. لقد قال لى ذلك بالأمس !

الأمبراطور : فى ذلك شىء من الطرافة . فى ذلك شىء من الطرافة . حقا ! إيه لو كنت واثقا أن أخاك لن يغضب لهذا !

أندروكليز : لا ! فإنى لن أصادف مدى الحياة ساعة سعيدة أخرى . لا ! فقسماً بأيمان المسيحى وبشرف الخياط أنى لأتقبل راضيا ما قد كتب لى من قضاء !

إذا عادت زوجتى يوما فبلغوها محبتى وخالص رغبتى فى أن تحيا سعيدة مع ذلك التعس الذى سيأتى من بعـــدى ! قيصر ! ادخل مقصورتك كى ترى كيف يتسنى لخياط أن يموت ! افسحوا الطريق لرقم اثنى عشر (يخرج

سائراً عبر الممر . يشاهد جميع المتفرجين الذين فى الصالة الأمبراطور وقد دخل للمقصورة ثانية واخذ مجلسه فيها بينما أندروكليز رغم ما به من رعب قاتل يواصل سيره فى خشوع المؤمن ، حتى يخرج من نهاية الممر الأخرى حيث يجد نفسه ملتقى آلاف الأنظار المتفتحة المتشوقة لرؤيته

إلى اليسار يوجد قفص الأسد وعليه باب ضخم صفيق . الأمبراطور يعطى الاشارة فيسمع توا صوت بوق . أندروكليز تأخذه رعدة شديدة عند سماع صوت البوق ثم يركع على ركبتيه ويشرع فى الصلاة

يرتفع باب القفص محدثا ضجة عالية . يقفز الأسد إلى الحلبة ويدور مقتحما الحومة فرحا بحريته . ثم يرى أندروكليز فيتوقف ثم يشب ببطء وتصلب بأن يجعل رجليه على استقامة واحدة ويمد أنفه إلى الأمام بينما ذيله يمتد من خلفه أفقيا كأنه مؤشر ثم يطلق زئيراً مرعبا .

أندروكليز يقبع فى مكانه مخفيا وجهه بيديه .

الأسد يلم نفسه استعدادا للقفز ويضرب بذيله تراب الأرض جيئة وذهابا ، مشغوفا بما يتوقعه من غنيمة . أندروكليز يرفع يديه فى تضرع التماسا لرحمة من السماء الأسد يتراجع بمجرد أن يرى وجه أندروكليز ثم يختلس السير الهوينا فى اتجاهه ويأخذ فى شمه ثم يقوس ظهره ثم يموء بصوت كأنه صوت عربة بخارية . وأخيراً

يتمسح بجسمه فى أندروكليز فيوقعه على الأرض

أندروكليز وهو معتمد على معصمه ينظر برعب نحو الأسد .
الأسد يقف على ثلاث أرجل ويرفع الرابعة ويمدها كما
لو كانت مجروحة

يضئ وجه أندروكليز بلمعان غريب يدل على معرفته
الأسد ثم يحرك يده كما لو كانت بها شوكة ويتظاهر بأنه
شدها فأخرجها وأن إخراجها آلمه .

يمد أندروكليز كلتا راحتيه للأسد فيمد الأسد كلا كفيه
لأندروكليز فيأخذهما هذا ويهزها فى حماسة .

(يتعانق الأثنان بجنون ثم ينتهيان بأن يتراقصا معا فى
دورة حول الحلبة كلها بينما تتجاوب ارجاؤها بتصفيق
يكاد يصم الأذان . ثم يخرجان معا عبر الممر وقد وقف
الأمبراطور يشاهدهما فاغر الفم فى دهشة قاطعة للأنفاس
الى ان يختفيا عن نظره فيقفز هابطا سلم مقصورته وهو
فى ثوران يقرب من درجة الجنون.

الأمبراطور : اصدقائى . هذا شىء لايصدق . شىء غريب . قد
حدث الآن ! لم أعد استطيع الشك فى صدق المسيحية !
(المسيحيون يتجهون متزاحمين نحوه يفرح) هذا السحار
المسيحى (يقطع كلامه بصيحة عالية عندما يرى
أندروكليز والأسد يبرزان من الممر وهما يتراقصان .
يقفز السلم بهدوء ويدخل مقصورته ويغلق بابها من

الداخل .. جميع الحاضرين سواء المسيحيين أو المصارعين يهرعون خوفا على حياتهم . المصارعون يدخلون الحلبة والباقون يتفرقون فى شتى الجهات المكان كله يخلو بغتة كأنما بقوة سحرية)

اندروكليز : (بسذاجة) عجيب أمر هؤلاء الناس . لم يفرون كلهم منا هكذا ؟ (الأسد اذ يخرج اصواتا متوالية من التثاؤب ، والمواء والزئير وراء بعضها يبدو كما لو كان يضحك فعلا) .

الامبراطور : (واقفا على كرسى داخل مقصورته يتطلع من فوق الحائط) أيها الساحر أنا آمرك أن تقتل هذا الاسد فى الحال . انه متهم بالخيانة العظمى وان مسلكك انت لمشين الى أقصى حد (الأسد يهجم عليه صاعدا على السلم) النجده ! (الأمبراطور يختفى ! الأسد يزأر على المقصورة كلها ثم ينظر الى الأمبراطور فوق القاطع الخشبى ويزأر ثانية . الأمبراطور يمرق كالسهم خارجا من باب المقصورة وينزل الى اندروكليز متبوعا بالأسد)

اندروكليز : لا تجر بعيدا ياسيدى . انه لا يستطيع أن يكبح نفسه عن القفز عليك اذا انت جريت (يقبض على يد الأمبراطور ويقف حائلا بينه وبين الأسد الذى يكف عن الحركة دفعة واحدة) لا تخف منه !

الأمبراطور : انا لست بخائف منه (الأسد يجثو مهمهما . الأمبراطور — يتشبث بأندروكليز) ألزم مكانك بيننا .

اندروكليز : لا تخف من الحيوانات أبدا يا صاحب الجلالة . . ذلك هو السر الخطير . متى ما وثق هو بأنك صديق له أصبح وديعا كالحمل . قف أمامه هادئا ساكنا والابتسامة تضىء على شفتيك ودعه يشم كل موضع فيك كى يستوثق لنفسه منك ... إنه يرهبك . ولا يأمنك فلا بد له من أن يمتحنك امتحانا دقيقا قبل أن يمنحك وده (للأسد) تعال ياتومى . تعال كن رفيق الحاشية مع الأمبراطور . الأمبراطور الجليل القدر الطيب القلب الذى لديه المقدرة على أن يطير رؤوسنا جميعا إذا نحن لم نسلك تجاهه مسالك الاحترام الشديد جدا .

(الأسد يطلق زئيرا مخيفا . الأمبراطور ينقض بجنون على السلم فيصعده ويعبر الشرفة ويهبط من الجهة الأخرى بينما الأسد يهرع فى أثره . أندروكليز يمرق وراء الأسد ويدركه وهو نازل فيلقى بنفسه فوق ظهره محاولا أن يستعين بأصابع قدمه فى كبح جماحه ولكنه قبل أن يوقفه يكون قد أمسك بذيل رداء الامبراطور)

أندروكليز : ويحك أيها القط الشرير ! كيف تتعقب الأمبراطور هكذا؟ دع رداء الأمبراطور فى الحال . يا أحمق . أين هى آدابك (الأسد يزمجر ويشد الرداء بأسنانه) لاتسحب ذيلك منه يا صاحب الجلالة . هو يلعب ليس إلا .. والآن . اسمع يا تومى . إذا أنت لم تخل الثوب فسأغضب منك بحق ! (الأسد يزمجر ثانية) سأشرح لك ما به يامولاى . إنه يظن أننا لسنا صديقين معا . !

الامبراطور : (محاولا فك الدبوس الذى يشبك أعلى ثوبه) صديقين ؟
أيها الشرير اللعين ! (الأسد يزمجر) حذار أن تفلته !
لعنة الله على هذا المشبك . لا أعرف كيف أفكه !

أندروكليز : لا ينبغى لنا أن نثير غضبه ! يجب أن تريه أنك صديق
حميم لى . إذا تواضعت إلى هذا الحد ! (يمسك بيدى
الأمبراطور ويهزها بأخلاص) انظر يا تومى . هذا
الأمبراطور الرقيق هو أعز صديق لى على وجه الأرض .
إنه يحبنى كما يحب أخاه .

الأمبراطور : أيها الحيوان الحقير . أيها الخياط الرومى . الكلب القذر
الملعون . سوف أءمر بحرقك حيا لجرأتك على المساس
بشخصية الأمبراطور الآلهية (الأسد يزمجر)

اندروكليز : مهلا . لاتتحدث بهذه اللهجة ياسيدى . إنه يفهم كل
كلمة تنطق بها . كل الحيوانات تدرك ذلك . تدركه من
رنة الصوت الذى نتحدث به .

(الأسد يهمهم ويمد ذيله) أعتقد أنه على وشك الوثوب
على جلالتك ما لم تتنزل إلى القاء بضع كلمات ودية
(الأسد يزأر)

الأمبراطور : (هازاً يدى أندروكليز وهو يكاد يجن من الغيظ) ،
أندروكليز يا أعز الأعزة لدىّ . يا أحب صديق لى .
يا أخى الذى افتقدته منذ زمن بعيد . تعال إلى أحضانى
(يحتضن أندروكليز) أف من رائحة الثوم ! يا للشناعة !

(الأسد يترك طرف الثوب ويستلقى على ظهره ويشبك يديه بتدلل فوق أنفه)

اندروكليز : هل صدقت الآن ! انظر يا صاحب الجلالة ان طفلا صغيرا يستطيع ان يلاعبه فى هذه اللحظة . انظر ! (يدغدغ بطن الأسد فيتلوى متلذذا) تعال دغدغة أنت !

الأمبراطور : يجب على ان اتغلب على هذه المخاوف غير اللائقة بمقام الامبراطور . ولكن إياك ان تبتعد عنه (يربت على صدر الأسد) .

اندروكليز : عظيم ياسيدى ! ما أقل الرجال الذين لديهم الشجاعة ان يفعلوا ذلك !

الأمبراطور : اجل . انه عمل يحتاج لأعصاب .. هيا بنا ندعوا الحاشية الى هنا لكى نبعث فى قلوبهم الخوف .. هل تظن أنه مأمون الآن ؟

اندروكليز : كل الأمان يا سيدى !

الامبراطور : (بلهجة ملكية) إيه ! انتم هناك ! كل الذين يسمعوننى يأتون الى هنا بلا خوف .. لقد روض قيصر الأسد ! (كل من غادر القاعة يعود اليها متلصصا بحذر شديد . المشرف على الحيوانات يدخل من الممر بصحبه زملاؤه المشرفون مدججون بالقضبان الحديدية والتيجان المثلثة) ابعدوا هذه العدد من هنا . لقد تم لى اخضاع الوحش الضارى (يضع قدمه فوقه) .

فيروفيوس : (يقترب فى خجل من الامبراطور وينظر .. بروبية الأسد (عجيب أنى أنا الذى لا أرهب إنساناً فى الوجود . أخاف من سبع !

الضابط : كل إنسان فى الوجود يخاف شيئاً ما يا فيروفيوس !

الامبراطور : ماذا ترى بشأن الحرس الأمبراطورى الآن ؟

فيروفيوس : فى عهد الصبا كنت أعبد « مارس » اله الحرب . ثم تحولت عنه إلى عبادة آله المسيحيين . ولكنى أرى آله المسيحيين اليوم خذلنى بينما آله الحرب قد غلبنى على أمرى واسترد ملكه ! إن آله المسيحيين لم يأت بعد ! ولن يأتى إلا بعد أن يصبح آله الحرب وأنا معه رماداً فى رماد ! ولكن الآن . لا مفر لى من أن أعبد الآله الكائن لا الآله الذى سيكون .. لهذا فحتى ذلك العهد أقبل أن أستخدم فى حرسك الخاص يا قيصر !

الامبراطور : ما أحكم هذا القول ! أصحاب العقل الراجح متفقون جميعاً على أن أسلم طريق هو أن لا نتعصب فى تعلقنا بالقديم ولا أن نتهور ونجوز القصد فى تفحصنا للجديد بل نتحرى سواء السبيل بين كلا المذهبين .

الضابط : ماذا ترين يا لافينيا ؟ هل تسلكين أسلم طريق ؟

لافينيـا : (على السلم) كلا ! بل أجاهد فى سبيل الآله الذى لم يأت بعد !

الضابط : هل لى فى آن أعاود النقاش معك بين آن وآخر ؟

لافينيـا : نعم . أيها الضابط الجميل . لك ما تشاء (يقبل يدها) .

الامبراطور : والآن أيها الأصدقاء . ولو أنى لم أعد أخشى هذا الأسد كما ترون إلا أنى أستشعر عناء من وجوده هنا . لأن أحداً منا لا يستطيع أن يأمن ماذا عساه فاعل بعد لحظة واحدة

المشرف : يا قيصر . هب لنا هذا السحار اليونانى نستخدمه عبداً فى اسطبل الحيوانات . ان له أسلوباً فذا مع الوحوش .

أندروكليز : (متألماً) ليس عندما تكون حبيسة أقفاصها ! لا ينبغى لنا أن نغلق عليها السجون . يجب أن نطلق سراحها كلها !

الامبراطور : أنا أهب هذا الساحر عبداً مملوكاً لأول رجل يضع يده عليه (المشرفون والمصارعون ينقضون على أندروكليز . الأسد يهب لمواجهتهم . كلهم يتراجعون)

أرأيت يا أندروكليز أية درجة من الشهامة بلغنا نحن الرومان ! آذن لكما أن تنطلقا بسلام

أندروكليز : شكراً لك يا صاحب الجلالة . شكراً لكم جميعاً أيتها السيدات وأيها السادة . تعال يا صديقى . مادمنا نقف معاً جنباً إلى جنب فلا سجن لك ولا عبودية لى !

(يخرج وبجانبه الأسد بينما تبتعد الجموع الحاشدة لتهيىء لهما أعرض طريق يمكنها تهيئته) .

— ستار —

الفهـــرس

صفحة

مقـدمة المترجم ٩
على هامش المسرحيـــة ٢٥
مقدمة الكتاب لبرناردشو « وتشمل ٢٩ مقالا » ٣٥
مسرحية أندروكليز والأســد ٩١
شخصيات المسرحية ٩٣
مقدمة : الافتتاح ٩٥
الفصـــل الأول ١٠٥
الفصـــل الثانى ١٣٥

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
١ ـ راس الآخرين	مارسيل ايميه	د. محمد غنيمى هلال
٢ ـ المتوحشة	جان آنوى	د. يحيى سعد
٣ ـ القديسة جون	برناردشو	محمد محبوب
٤ ـ بلدتنا	ثورنتون وايلدر	د. محمد اسماعيل الموافى
٥ ـ الليلةنرتجل وألجرة	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
٦ ـ الاستثناء والقاعدة محاكمة لوكولوس	برتولد برخت	د. عبد الغفار مكاوى
٧ ـ العادلون	البير كامى	بسيم محرم د. ريمون فرانسيس
٨ ـ سبع مسرحيات	يوجين اونيل	د. نعيم عطية
٩ ـ رومولوس العظيم	فريدرتش درنمات	أنيس منصور
١٠ ـ لويس ولينا ،فويسك	جورج بوشنر	د. عبد الغفار مكاوى
١١ ـ الشياطين	جون هوايتنج	محمود محمود
١٢ ـ قطة على نار	تنيسى وليامز	د. محمد سمير عبدالحميد
١٣ ـ مركب بلا صياد	اليخاندرو كاسونا	د. محمود على مكى
١٤ ـ جسر آرتا ((الثمن الفادح))	جورج ثيوتوكا	د. نعيم عطية
١٥ ـ أرض النفاق ((كل شىء فى الحديقة))	جايلز كوبر	د. محمد اسماعيل الموافى على أحمد محمود
١٦ ـ الحب الحرام ((المدنسة	بينا بنتى	د. عطية هيكل
١٧ ـ مدرسة الازواج سجاناريل	موليير	د. حسن سيد عون
١٨ ـ هنرى الرابع	لويجى بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
١٩ ـ بعد السقوط	آرثر ميللر	على شلش
٢٠ ـ الميجور باربارا	برناردشو	أحمد النادى
٢١ ـ السيد بونتيلا وتابعه ماتى	برخت	د. عبد الغفار مكاوى

ظهر فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
٢٢ ـ بيكيت « شرف الله »	جان آنوى	سعد مكاوى
٢٣ ـ فاوست كما اراه	بول فاليرى	عبد العاطى جلال
٢٤ ـ الانسان الآلى او « أ.ر.أ »	كاريل تشابيك	د. طه محمود طه
٢٥ ـ نزوة العاشق / الشركاء	جوته	د. مصطفى ماهر
٢٦ ـ هبوط أورفيوس	تنيسى وليامز	د. محمد سمير عبد الحميد
٢٧ ـ زواج فيجارو	بومارشيه	فتوح نشاطى / أنور فتح الله
٢٨ ـ المستجيرات / المستجيرات / أبناء هرقل	اشيل / يوريبيد / يوريبيد	د. على حافظ
٢٩ ـ اندروكليز والاسد	برناردشو	محمود عبد الله صابر

تحت الطبع فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
اندروماك	راسين	د. طه حسين
هيكابى	يوربيديس	د. محمد محمود السلامونى
أوديب الملك	سوفوكليس	د. على حافظ
أوديب فى كولون	سوفوكليس	د. على حافظ
انتيجون	سوفوكليس	د. على حافظ
روميو وجوليت	شكسبير	الشاعر احمد رامى
عدو البشر	موليير	د. غنيمى هلال
الحداد يليق بالكترا ثلاثية	اونيل	د. لويس مرقص د. فخرى قسطندى
حسب تقديرك	بيرندللو	محمد اسماعيل محمد
قيصر وكليوباترا	برناردشو	د. اخلاص عزمى
حفلة كوكتيل	ت.س. اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
لوثر	جون اسبورن	نعيم جاب الله
متعة العيش	وليم ساروبان	محمود محمود
عطيل يعود	كازأند زاكيس	د. نعيم عطية
الفوريلا	يوجين اونيل	الشاعر محمد أنعم
فى انتظار اليسار	أوديتس	يحيى سعد
روميو وجانيت	جان آنوى	يحيى سعد
أنشودة الحب العذبة	ساروبان	د. وليم الميرى
انطونيوس وكليوباتره	وليم شكسبير	د. لويس عوض
بستان الكرز	تشيكوف	نجيب سرور
مدرسة الفضائح	شريدان	حكمت عباس
التيه	دوريس ليسينج	سعد عبد القوى زهران
سوء التفاهم	البير كامى	د. سامية أحمد اسعد
مياه بابل	جون آردن	فتحى عبد الفتاح
فاوست	جوته	د. محمود عوضى محمد
تاسو	جوته	د. عبد الغفار مكاوى

تحت الطبع فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
العنقـــاء نى نو الملائكة	كرستوفر فراى	شفيق مقار
السيدة ليست للحرق	كرستوفر فراى	شفيق مقار
تاج على ميتة	مونترلان	أبو بكر محمد بكر
ليالى الغضب	ارمان سلاكرو	د. أنيس فهمى
حافى القدمين فى أثينا	ماكسويل اندرسون	سمير كرم
كاليجولا	البير كامى	على عطية رزق
متعة الابله	روبرت شروود	أميمة أبو النصر
بجماليـون	برنارد شو	جرجس الرشيدى
المطالبون بالعرش	ابسن	ميخائيل بشاى
المجانين	قصة دستويوفسكى مسرحية البير كامى	اسماعل المهداوى
العين بالعين	شكسبير	د. زاخر غبريال
اللعبة الخطرة	نوشتش	د. حسن عبد اللطيف السيد جمال الدين سيد جادالله
الـكذاب	كورنى	ميخائيل بشاى
سور الصـــين	ماكس فريش	سمير التنداوى

تحت الترجمة فى هذه السلسلة

المسرحية	المؤلف	المترجم
عطيـــل	شكسبير	د. عبد القادر القط
دون جـــوان	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيـــات	موليير	يحيى حقى
سائر المسرحيـــات	اليـــونانية	د. على حافظ
سائر المسرحيـــات	اليـــونانية	د. محمد محمود السلاموني
حالة الحصار	البير كامى	د. فؤاد زكريا
الجلسة سرية	جان‌بول سارتر	د. فؤاد زكريا
شهادة لاتقبل	جون اسبورن	د. شوقى السكرى
سائر مسرحيات	جون اسبورن	د. شوقى السكرى
جان دارك	كلوديل	د. فؤاد زكريا
جريمة قتل فى الكاتدرائية	ت.س. اليوت	الشاعر صلاح عبد الصبور
مسرحيتان	هارولد بينتر	د. وداد حماد
الذى أوله عسل	شيلا ديلانى	عبد الله فريد
الملك لير	وليم شكسبير	د. شوقى السكرى
سبع مسرحيات	تنيسى وليامز	د. جمال الدين الرمادى
كنز البخيل ، التوأمان	بلاوتوس	د. أحمد عبد الرحيم أبو زيد
الملك لير	شـــكسبير	د. محمد اسماعيل الموافى فوزى العنتيل
المليونيرة	برنارد شو	نبيل راغب فرج
أيام بلا نهـــاية	يوجين أونيل	د. عز الدين اسماعيل
الصاعقة	ديرنمات	د. مصطفى ماهر
مجنونة شايو	كلوديل	دولت محمد حسن
ثلاث مسرحيات شعرية	و.ب. ييتس	د. فهمى فوزى فرج
طائر البحر	تشيكوف	الشاعر عبد الوهاب البياتى
الرجل والمرأة	مارســـيل ايميه	اسماعيل المهدوى
مهنة مسز وارين	برناردشو	سعد الدين توفيق

المسرحية	المؤلف	المترجم
الشيطان الابيض	جون وبستر	د. محمد عواد العسيلي
أربع مسرحيات	أدوارد البى	على شلش
البورجوازيون	مكسيم جوركى	د. أبو بكر يوسف حسين
فيصر	مارسيل بانيول	فاطمة على نجيب
منزل القلوب المحطمة	برناردشو	مجد الدين حفنى ناصف
الرهينة	براندين بيهان	مصطفى كامل عبد الفتاح
فى انتظار الاعدام	براندين بيهان	مصطفى كامل عبد الفتاح
رجل الدولة المتقاعد	ت.س. اليوت	د. عادل سلامة
دوقة ملفى	وبستر	د. السيد محمد بدوى
عيشة الخنازير	جون آردين	د. عبد الحكيم حسان عمر
ليليوم فى	سيجليجاتى ادا	كمال عيد
عين الجماعة، اذن الفرد	بيتر شيفر	سهير الحارتى
المنافق	موليير	د. محمد عبد الحليم
رحلة النهار فى الليل	يوجين أونيل	د. محمود شكرى مصطفى
حرب طروادة لن تقوم	جان جيرودو	درية فهمى اسماعيل ليلى عباس الديب
فينوس وأدونيس اغتصاب لوكريس	شكسبير ، مسرحة أندرى اوبى	محمود عبد الله صابر
حفلة عيد الميلاد	هارولد بينتر	محمد غنيم
أغنية بهلاليم	هارولد بينتر	محمد عبد اللطيف حجازى
جريمة مزدوجة	جون هوايتنج	رؤوف رياض
حلم مؤجل	لورين هانزبرى	نهاد جاد زينب صادق
اللامنتمى	مونترلان	أبو بكر محمد بكر
الموائد المتناثرة	تيرنس راتيجان	عبد المنعم حسن محمد
الوداع الاخير لآرمسترونج	جون أردن	ابراهيم الصيرفى
سيد سنتياجو	مونترلان	محمد مواصل عباس د. محمود السباعى
ملك سابق	سارب أنتال	كمال عيد
مالاتستا	مونترلان	وحيد النقاش

دراسات فى المسرح تحت الاعداد

اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
مسرح العبث	د. نور شريف	
المسرح الشعرى	شفيق مقار	
المسرح الفرعونى	د. فايزة هيكل	
تاريخ المسرح اليونانى والرومانى	مارجريت بيبر	امين سلامه

الدار القومية للطباعة والنشر

اقرأ فى هذه السلسلة لهؤلاء العمالقة :

اسخيلوس	ابسن	دورنمات
سوفوكليس	برناردشو	چان انوى
يوربيديس	ت٠س٠ اليوت	آرثر ميللر
ارسطوفانيس	تشيكوف	البير كامى
شكسبير	لويچى برندللو	تنيسى وليامز
مارلو	يوچين اونيل	جون اسبورن
موليير	وايلدر	براندن بيهان
راسين	چان پول سارتر	اوكيسى
شريدان	برخت	جايلز كوبر

وكثـــيرين غـــيرهم

في العدد القادم : كاليجولا البير كامى

العـدد ٢٩ الثمن ١٠



الدار القومية للطباعة والنشر

فى هذا العـدد :

أندروكليز والأسد

تصور هذه المسرحية حادثا من حوادث الاضطهاد التى وقعت من الرومان الوثنيين على المسيحيين فى فجر المسيحية . لا كصراع بين معتقدين يحسب كل منهما انه هو الصحيح وغيره الباطل ولكن للابانة عن كنه الاضطرابات التى سودت وجه التاريخ والتى قام بها ـ باسم الدين والقانون ـ قوم نهازون للفرص بغية اخماد كل دعاية واطفاء كل شعاع من نور فيه تهديد لمصالحهم المادية .

والمسرحية تزخر بأنماط شتى من الشخصيات . فمن الامبراطور الرومانى فى صولته . الى الخياط اليونانى المسكين المعطوف على الحيوانات . الى الزوجة الشرسة السليطة اللسان . الى الغانية التقية التى تؤثر الآخرة على الدنيا . الى المتعصب عن غلظة وغباء . الى الماجن المستهتر بكل شرع وفضيلة الخ الخ .

ولم تقف عبقرية الكاتب عند براعة التوفيق بين تلك الشخصيات المختلفة بل ضم اليها أسدا بدها يرضى ويغضب ويضحك ويلعب . ويتقبل الجميل ويجزى عليه أضعافا . ويداعب ويلاعب ويراقص فيحيل المسرحية آية من الآيات .

المؤلف : الكاتب الارلندى الأشهر ـ **جورج برناردشو**

ترجمة وتقديم : **محمود صابر**

فى العدد القادم

كاليجولا

« ... ان كاليجولا كان أميرا مهذبا حتى اللحظة التى تبدأ فيها حوادث المسرحية . بدأ يشعر بعد وفاة أخته وخليلته دروزيلا بأن الحياة لم تعد ترضيه فبدأت تستبد به الرغبة فى الحصول على المستحيل وملأت نفسه سموم الاحتقار لكل ما حوله والرعب منه ، ومن ثم فقد أطلق لنفسه عنانها على نحو



ثم لم يلبث أن تبين أنها ليست الحرية الصحيحة فهو يتحدى

والحب والتضامن الانسانى العام والخير والشر وهو يحاسب

به على ما يقولون ويطالبهم بأن يكونوا منطقيين ... ويهدم كل

وجوده مستعينا بما لديه من القدرة على رفضه وانكاره وهو يقفو

المخرب الذى يدفعه اليه نهمه الى الحياة .

وان يكن محقا فى ثورته على القدر فانه يخطىء حين

تربط بينه وبين البشر ذلك لأن الانسان لا يستطيع تحطيم كل

نفسه أيضا . ولهذا السبب فان كاليجولا عندما نفر الناس

تامة ومضى فى طريقه متابعا لمنطقه قدم بذلك لأعدائه السلاح

عندما تحين لهم الفرصة المواتية ... » كامى

تأليف : البير كامى

ترجمة وتقديم : الأستاذ على عطية أستاذ الفرنسية بمدرسة الألسن العليا